الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة باتنة1

كلية العلوم الإسلامية

المجلس العلمي

Ministère de l'enseignement Supérieur
Et de la recherche Scientifique
Université Batna1
Faculté des Sciences Islamiques
Conseil Scientifique

رقم: **04 - 2023**

باتنة في: **2023/03/13**

مستخرج من محضر المجلس العلمي

بناء على محضر اجتماع المجلس العلمي رقم 01- 2022، الجلسة الثالثة، المنعقد يوم: 22/ 12/ 2022.

وافق المجلس العلمي على اعتماد مطبوعة بيداغوجية بعنوان: تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، مقدمة من طرف الأستاذ: د/ نور الدين بن قويدر، موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس، تخصص: تاريخ إسلامي، للموسم الجامعي: 2022- 2023.

وقد سلم هذا المستخرج للمعني لاستعماله فيما يسمح به القانون.

رئيس المجلس العلمي

أ.د عبد الرحمن معاشي

رئيس المجلس العلمي

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الجزائرية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة باتنة1
كلية العلوم الإسلامية
قسم اللغة والحضارة الإسلامية

République Algérienne
Démocratique et PopuLaire
De l'Enseignement SupérieureMINISTERE
Et de Recherche scientifique
Universite BATNA

مطبوعة بيداغوجية بعنوان:

تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر(1)

المستوى : الثالثة ليسانس
الرتبة : أستاذ محاضر / أ

إعداد: الدكتور/ نورالدين بن قويدر
التخصص :تاريخ إسلامي.

السنة الجامعية2023/2022م

بسم الله الرحمن الرحيم

"وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب"

سؤرة: هود من الآية88

السداسي الأول

***محتوى المقياس:**
عنوان ليسانس :التاريخ الإسلامي
السداسي :الخامس
الوحدة :الأساسية
المادة :تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر01
الرصيد4 :
المعامل :02
أولا .أهداف التعليم:
–يدرس هذا المقياس أهم التحولات والمكانة التي احتلتها الجزائر في هذه الفترة داخليا وخارجيا .
-يسمح هذا المقياس بمواصلة التعرف على وضعية الجزائر في تلك الفترة.
ثانيا :المعارف المسبقة المطلوبة: معارف عامة حول دور الدولة العثمانية في تاريخ الجزائر.
ثالثا .محتوى المادة:
1-الوضعية العامة للمغرب الأوسط قبل قدوم الأخوة بربروسة.
2-الجزائر تحت قيادة بابا عروج
3-الدولة الجزائرية بعد رحيل خير الدين.
4-مراحل الحكم العثماني في الجزائر.
5-الأوجاق.
6-البحرية.
7-العلاقات الجزائرية الخارجية
8-العلاقات بين السكان والعثمانيين.
9-الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.
رابعا .طريقة التقييم :امتحان–متواصل
خامسا .المراجع :(كتب ومطبوعات،مواقع انترنت،إلخ)
1-محمد حرب،العثمانيون في الحرب والحضارة،دارالقلم ،دمشق،1989.
2-احمد الشوابكة،محمد رشيد رضا،دار عثمان،عمان1986.
3-مجمد فريد،تاريخ الدولة العلية العثمانية،دار النفائس،بيروت1981 .
4-محمد سهيل طفيش،العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة،دار بيروت، 1985.
5-مبارك بن محمد الميلي، «تاريخ الجزائرفي القديم والحديث»، الجزء الثاني،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1989م.
6-علاوة عمارة،دراسات في التاريخ الوسيط للجزائروالغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، 2008م.

قائمة المختزلات والرموز

د ع	الدولة العثمانية
ش ج إ	شبه الجزيرة الأيبيرية
ش ج ع	شبه الجزيرة العربية
ف ع	فترة العثمنة
ق م	قبائل المخزن
د ت	دون تاريخ
دخ	دار الخلافة
د ز	الدولة الزيانية

مقدمة

مقدمة:

يعتبر التاريخ الإسلامي عامة والتاريخ الوطني خاصة فترة ممتدة عبر عصور مختلفة ،ومتفردة بأحداث ووقائع متنوعة ومفصلية، وقد حاولت من خلال هذه المطبوعة رسم صورة واضحة لأهم الوقائع ،لتكون ومضاتها التاريخية إحاطة بتاريخنا الإسلامي والوطني لطلابنا ، بشرحها أبرزمعالمها وأحداثها التي مرت عليها ،وقد احتوت المطبوعة على محاضرات السداسي الأول ،لطلبة السنة الثالثة ليسانس ، تخصص التاريخ الإسلامي، وتعتبر هذه المحاضرات مفتاح للطالب لولوج في عمق تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، وهو ما يسهل عليه فهم هذه الفترة ،أما الجزئيات التي تناولها المقياس فخصصت للفترة العثمنة في الجزائر،بدء بعرض الوضعية العامة للمغرب الأوسط قبل قدوم الأخوة بربروسة، والجزائرتحت قيادة باباعروج، والدولة الجزائرية بعد رحيل خيرالدين. ،ومراحل الحكم العثماني في الجزائر، الأوجاق ، البحرية، العلاقات الجزائرية الخاريجية ، والعلاقات بين السكان والعثمانيين،الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحضارية للجزائر. وتهدف الدراسة إلى تبيان واقع إيالة الجزائر أيام الحكم العثماني آنذاك للطالب بكل جوانبه ومخاطره،مما يساعده على فهم هذا المقياس نظريا وتطبيقيا، وقد حاولت في هذه المطبوعة أن أستعمل لغة بسيطة حتى تكون مادتها التاريخية واضحة وممتعة وقريبة من الطالب بشرح المصطلحات والوقائع ،كما يهدف المقياس إلى التعريف بالحيز التاريخي لهذه الفترة الحلسمة، والاطلاع على مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية التي عرفتها إيالة الجزائر في أوجها وتراجعها والوقوف على العوامل التاريخية التي ساهمت في التطور أو التراجع الحضاري والربط بين منحنى التطور التاريخي ومنحى التطور الحضاري وتنمية قدرات الطالب على التحليل والتفسير للحركة التاريخية،وبالاعتماد على المعرف القبلية والمكتسبة لربطها تاريخيا ،ولعلّ المصادر والمراجع المحددة في عرض التكوين لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي ولجامعة باتنة1،ليسانس"ل م.د " ،قد ساعدتني في إعداد هذه المطبوعة العلمية لتكون مادة خبرية وتاريخية للطالب في إطار المقربة بالكفاءات والأهداف حسب كل محاضرة.

المحاضرات

المحاضرة(01) الوضعية العامة للمغرب الأوسط قبل 15م(أ).

مدخل: ميز تاريخ المغرب الإسلامي قبل القرن 15م، ظهرت بوادر الوحدة تارة والإنقسام تارة أخرة وفي فترات مختلفة،وطغى الصراع بين دويلات وحتى داخل الدويلة الواحدة ويمكن توضيح هذا التطور على النحو التالي:

أ–الدويلات المستقلة:ظهرت دويلات مستقلة خاصة في المغرب الاوسط وجزء كبير منها ، حيث انقسم بين ثلاث دول؛ الدولة الرستمية: وضمت منطقة الزاب وقسنطينة وتلمسان. الدولة الإدريسية: وهران، وشلف ومعسكر. والدولة الأغلبية: سكيكدة، وسطيف وميلة.

1–الدولة الرستمية: 160–296هـ/776–909م:و قادها عبد الرحمن بن رستم ، وأسَّس الدولة الرستمية بتيهرت.[1] و فرَّ بن رستم من العباسيين كما فرَّ إدريس بن عبد الله وفرَّ عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس (صقر قريش كما ورد عن أبي جعفر المنصور) «هكذا تأسست دولة الرستميين: إسلامية في قضاها، عربية في معارفها، بربرية في عصبيتها، وفارسية في إدارتها.»[2] وإباضية في مذهبها. أنشأ البربر الدولة الرستمية وكوَّنوا جبهة صمود ورقعة انفصال عن إدارة الحكم بالقيروان، وتعتبر أول دولة إسلامية بقيادة بربرية نشأت في الجزائر، كان أوَّل مَن أسَّسها ورسم سياستها ومنهج حكمها عبد الرحمن بن رستم، وانتهت بمقتل اليقظان بن أبي اليقظان (294هـ/907م). دائمًا في خضم الحراك المذهبي والمتحول إلى اقتتال طائفي، أقدم أبو عبد الله الشيعي على اغتيال أبي اليقظان سنة 296هـ/909م في إطار مخطط شامل يقضي باسترجاع «الخلافة المغتصبة»، بزعمهم، أسَّس له وضبط قواعده ومناهج تنفيذه القائد الشيعي جعفر الصادق. تولَّى عبد الرحمن بن رستم حكم الجزائر فاستقلَّ بحكمها، واتخذ من مقومات البربر وموروثهم التاريخي والثقافي ركنًا منيعًا في نمط حكمها. أسَّس بالعاصمة تيهرت نظامًا شاملًا للحكم الأمازيغي.وضبطه بتنظيم أمني تولَّى القيام به الشارة. تعود تسمية الشارة، كما ذكر، الأستاذ مولود قاسم "رحمه الله " في حاشية الإلياذة، إلى قوله تعالى: إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ...[3] وهي تنظيم شبه عسكري يقوم بمهام الشرطة.استند حكم عبد الرحمن بن رستم على نظام الشورى في تسيير الشأن العام وفي انتخاب رئيس الدولة، معتمدًا في ذلك على استقلالية الدولة في منهجها وقراراتها السيادية، دون خلفيات العصبية وما تولده من تصدُّعات وشقاقات داخل الدولة الواحدة. ويجعل أمرَ الجماعة شورى وحقَّ انتخابِ الإمامةِ فصلا فلم يكُ للتبعيات ذليلا ولم يكُ بالعصبيات يبلى. شهدت الجزائر في عهده ازدهارًا أدبيا وحضاريًا، وكانت تيهرت يومها تضاهي قرطبة وبغداد ودمشق في نموها وجمالها، عُرفت بتطور الحِرَف والصناعات والأسواق والحمامات، ولقد كانت من المدن الحضرية التي زارها عبد الرحمن الداخل. في مجال

---

[1]-أصل هذا الإمام فارسي، وينتسب إلى الأسرة الملكية الكسروية. وهو من موالي عثمان بن عفان، بويع بالإمامة سنة 160هـ/776م بتاهرت ... كانت وفاته سنة 171هـ/786م ،ينظر :عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، مرجع سابق، ص222.

[2]- مبارك بن محمد الميلي، مرجع سابق، ص65.

[3]- سورة التوبة ،الآية: 111.

العلوم نبغ بها عالم اللغات والنحو يهوذا ابن قريش التاهرتي. ثم دبَّ الوهن في صفوف الدولة، واعتراها الضعف بفعل النزاعات الداخلية، وتعاظُم شأن الخلافات المذهبية، وتربُّص زعماء الشيعة بها إلى أن سيطر عليها عبيد الله المهدي.

2- الدولة الأغلبية: 184-297هـ/800-909م:استمرت مقاومة الأمازيغ لخلافة العرب، فاضطُر الأغالبة إلى استعمال القوة لإخماد حركة العصيان التي قام بها سكان الزاب والحضنة في الجزائر، وبحكم تحالفهم مع أنصار المذهب الشيعي، أعانت قبيلة كتامة البربرية أبا عبد الله الشيعي بالجند والعدة والعتاد في حربه ضد الدولة الأغلبية. وتأسَّست الدولة الفاطمية بزعامة عبيد الله المهدي و«دانت بعض المناطق الشرقية للجزائر لحكم الدولة الأغلبية: منطقة الزاب ومجانة وبادس والغدير وسطيف.[4] عُرفت منطقة الزاب بكثرة شعرائها وأدبائها، ذكر منهم مفدي زكريا: أبا مضر مُحَمَّد بن الحسين بن مُحَمَّد بن أسد بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن زياد بن كعب بن مالك التميمي الحماني من بني سعد بن منة بن تميم الطبني،[5] سكن قرطبة، وكان من أهل العلم بالآداب واللغات والأشعار، والشاعر نسبة إلى طبنة «بريكة» عاصمة الزاب الجزائري، وُلد بها سنة 303هـ.[6] قال ابن حزم: «كنت أنا وهو (أي ابن الطبني) متقاربين في الأسنان، وكنا أليفين لا نفترق، وخِدْنَين لا يجري الماء بيننا إلا صفاء، إلى أن ألقت الفتنة جرانها وأرخت عَزاليها، ووقع انتهاب جند البربر منازلنا في الجانب الغربي بقرطبة ونزولهم فيها.»[7] وورد كذلك اسم أبي القاسم مُحَمَّد بن هانئ بن سعدون الأزدي الأندلسي، وهو أشعر شعراء المغرب العربي، وُلد في إشبيلية في بلاد الأندلس، وترعرع فيها وتعلَّم الشعر والأدب. ارتحل إلى الزاب وبقي بها إلى أن استقر المعز لدين الله الفاطمي بمصر، فقصده ابن هانئ وأقام عنده. وبالغ ابن هانئ في مدح المعز وأقاربه، وعُرف بتعصُّبه للمذهب الشيعي استعطافًا للفاطميين. و قال عنه ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء: «أبو القاسم الأزدي الأندلسي أديب شاعر مفْلق، أشعر المتقدمين والمتأخرين من المغاربة، وهو عندهم كالمتنبي عند أهل الشرق ... وبرز في الشعر فلم يباره في حَلْبَته مبارٍ ... ثم رحل إلى الزاب واتصل بجعفر ابن الأندلسية وأخيه يحيى، فانتجع بابهما ولزم رحابهما ...» وقال ابن خلكان عند ذكره ديوانه: «وليس في المغاربة مَن هو في طبقته لا من متقدميهم ولا من متأخريهم؛ بل هو أشعرهم على الإطلاق، وهو عندهم كالمتنبي عند المشارقة» .

3- الدولة العبيدية: 296-361هـ/909-972م :تأسَّست الدولة العبيدية على يد عبيد الله المهدي سنة

---

[4] -مبارك بن محمد الميلي، «تاريخ الجزائر في القديم والحديث»، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص126.

[5]- محمد بن لخضر فورار، مجلة المخبر، «أبحاث في اللغة والأدب الجزائري»، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد الثامن، 2012م، ص256. ذكر مولده سنة 300هـ.

[6] -وصفه ابن بشكوال بسعة العلم والبحر في الأدب، وقال: «إنه لم يصل إلى الأندلس أشعر منه، توفي سنة 394هـ/1004م، وشهد جنازته المظفر عبد الملك بن أبي عامر ،ينظر :عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزء الأول، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1965م، ص279.

[7]- أبو محمد علي بن حزم الأندلسي، «طوق الحمامة في الألفة والآلاف»، مكتبة عرفة، دمشق، 1931م، ص117.

297هـ/910م، واتخذت من المهدية عاصمةً لها. انتقلت الريادة من المهدية إلى مصر، وعُرفت هناك بالدولة الفاطمية. كان تأسيسها على قواعد مذهبية، وفي مراميها، الهيمنة على حكم الأقطار الإسلامية باسم التشيع الذي أضحى تيارا سياسيا يحاول الغور في أعماق كل دواوين الإمارة، تارةً بإيعازٍ من الزيدية، وتارة أخرى من الإمامية، وأخرى من الإسماعيلية. من الأمازيغ، حمل هذا التيار خاصة قبيلة كتامة بمنطقة الزاب الأغلبي التي ناصرتها ودافعت عنها، وبخضوعها، انزوت الجزائر تحت حكم الدولة الفاطمية. يشير مفدي زكريا إلى جوهر الصقلي، أبي الحسن جوهر بن عبد الله، وُلد بصقلية سنة 228م، وتُوفي بالقاهرة سنة 992م، يُعتبر من أشهر القادة العسكريين في العهد الفاطمي، أسَّس القاهرة وشيد الجامع الأزهر، وتُنسب له فتوحات في المشرق والمغرب، وقد سبق لشاعرنا أن أشار إلى اقتباس جوهر الصقلي من الخطة العسكرية التي قام بها عقبة بن نافع الفهري في فتحه لبلاد المغرب. جهَّز المعز قائده جوهرًا الصقلي لإخضاع المغرب مصطحبًا معه «جعفر صاحب المسيلة، وزيري بن مناد الصنهاجي صاحب أشير، ومُحَمَّد بن خزر، ودارت حرب بين الأمويين والعبيديين على مقربة من تيهرت[8] .

4–الدولة الزيرية 361–405هـ/972–1014م: لم ينسَ المعز لدين الله الفاطمي فضلَ الأمازيغ في نصره للدولة العبيدية، فقام بتعيين أبو الفتوح سيف الدولة بلكين أو بولوغين بن زيري الصنهاجي أميرًا على المغرب سنة 361هـ/972م. أوصاه وصيةً شهيرةً عندما نزل بمصر قائلًا له وهو يعظه: «ألا ترفع السيف عن البربر، وألا ترفع الجباية عن أهل البادية، وألا تولِّي أحدًا من قرابتك؛ لئلا يطمعوا في أمرك، وأن تحسن إلى الحاضرة.»[9] أراد المعز لدين الله أن يوصل رسالة إلى بلكين مفادها إكرام الطائفة الإسماعيلية التي كانت تسكن المدن، والتشديد على البربر الذين توطنوا في البادية، ومراقبتهم مخافة تمردهم ضد الحكم الفاطمي. أسَّس بلكين أشير[10] وضرب بها السكَّة ثم أسَّس مدينة الجزائر على أسسِ مدينة إيكوسيوم سنة 349هـ/960م أيام إمارة والده زيري على صنهاجة، وسُمِّيت آنذاك بـ «جزائر بني مزغنة». تُوفي سنة 373هـ/984م، وعُهد بالحكم من بعده لابنه المنصور، ثم صارت إلى ابنه باديس. كان أوَّل ما عرف سكان المغرب العربي من المذاهب الفقهية، مذهب أبي حنيفة النعمان (ﷺ) ثم انتشر وعمَّ مذهب الإمام مالك (ﷺ) في القيروان والأندلس، واعتمد في الجزائر بناء على جهود وحرص المعز بن باديس، «وكان الناس يقرءون بقراءة حمزة، لا يعرف قراءة نافع إلا الخواص، إلى أن جاءهم برواية ورش عن نافع مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن خيرون الأندلسي نزيل القيروان المتوفَّى سنة 356هـ.»[11] استمرت حملة إخضاع الأمازيغ، غير أنَّ طبيعة الأمازيغ كانت تنجذب دومًا إلى تغيير الولاء كلما لمستجورًا أو ظلمًا، ذلك ما

---

[8]- مبارك بن محمد الميلي، «تاريخ الجزائر في القديم والحديث»، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص144.

[9]- مبارك بن محمد الميلي، مرجع سابق، ص139.

[10]-تقع في طرف إفريقية الغربي مقابل بجاية، والمدينة في سفح جبل تيطري وشمال قصر البخاري وجنوب شرق مليانة والخميس وغربي جبل شعبة. لا تزال أطلال أشير باقية إلى اليوم عند «كاف الأخضر»ويسمى اليوم «بقية» أو «منزه بن السلطان» (عبد الحليم عويس، دولة بني حماد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991م، ص87.

[11]-مبارك بن محمد الميلي، مرجع سابق، ص168.

دفع قبيلتي مغراوة وزناتة لإعلان ولائهما إلى بني أمية بالأندلس. كان لقبيلة زناتة المعادية دور هام في التصدُّع الذي أصاب باديس، فما كان له من ملجأ إلا استنجاد باديس بعمِّه حماد بن بلكين في القضاء على المعادين. سعى لذلك وأعدَّ العُدة فتأسَّست الدولة الحمادية سنة 405هـ/1014م معلنة ولاءها للعباسيين في بغداد.

5- الدولة الحمادية: 405-547هـ/1014-1153م :يعود فضل تأسيس الدولة الحمادية إلى قبيلة صنهاجة «التي قُدِّر لها أن تحكم المغرب العربي بعد نزوح الفاطميين إلى القاهرة.[12] بعد سقوط الدولة الزيرية، أسَّس حماد بن بلكين الدولة الحمادية وابتنى القلعة[13] سنة 398هـ/1007م كأساس لحكمه، ودعم لاستقلال دولته بعدما أعلن الولاء لبني العباس. وبعد وفاته قام خَلَفُه بتأسيس بجاية سنة ٤٦٠هـ. يرى بعضُ الدارسين أنَّ قلعةَ بني حماد أُسِّست على أنقاض قلعة رومانية في القرن الرابع الهجري — أي قبل بناء القلعة الحمادية بنصف قرن — اتخذ أبو يزيد الشهير بصاحب الحمار من هذا المكان حصنًا يحتمي به في صد القوات الفاطمية.[14] وما لَحِق القلعةَ من دمار يعود، على حسب الكثير من المؤرخين، إلى الهلاليّين والموحِّدين على حدٍّ سواء. كان من أهم القرارات الاستراتيجية للدولة الحمادية بعد انهزام الناصر بن علناس الحمادي سنة ٤٧٥هـ/١٠٦٤م في معركة «السبيبة» — غربي القيروان — نقلُ مركز الحُكم من القلعة إلى بجاية، «ويذهب إلى هذا الرأي ابن الأثير والنويري وصاحب كتاب الاستبصار وبعض المتأخرين.»[15] وابن حمديس المذكور في المقطع السابق هو أبو مُحَمَّد عبد الجبار بن أبي بكر بن مُحَمَّد بن حمديس الأزدي الصقلي، المشهور بابن حمديس الصقلي. وُلد ابن حمديس الصقلي سنة 1053م بسرقوسة، كبرى مدن جزيرة صقلية. هاجر إلى الأندلس بعد هجمة النورمان لصقلية سنة ٤٧١هـ. لازم المعتمد بن عباد ومدحه، ودخل إفريقية يوم كان يحكمها تميم بن المعز. له ديوان شعر حقَّقه الأستاذ إحسان عباس سنة 1960م. كُفَّ بصره عند بلوغه ثمانين سنة، وتُوفِّي في رمضان من سنة 524هـ ودُفن في جزيرة ميورقة، «ويُرجح أنه تُوفي في بجاية في الجزائر؛ لأن الذي دُفن في ميورقة بجانب ابن اللبانة هو أبو العرب الصقلي، فخلط الناس بينهما.[16] وفي البيت الذي يلي ذكرٌ للشاعرة الحمادية عائشة العمارية. ويعود أصل تسمية الناصر بن علناس إلى «أعلى الناس»، تقلَّد الإمارة الحمادية سنة 454هـ/1062م. بهدف حماية نفوذه، طلب الناصر التصالح مع ابن عمه تميم بعد موقعة سبيبة المذكورة، وتوسَّط في هذا الأمر وزيره أبو بكر بن أبي الفتوح، ولم يُكتب للصلح تمام إلا سنة 470هـ/1077م رغم ما رُوي عن خيانة ابن البعبع له، ولم يُدعم إلا بزواج الناصر من بلارة ابنة تميم. ويقول في شأن هذا القصر ابن خلدون: «إنَّه كان من آنَق الرياض وأحفلها.» حطَّمه المرينيون سنة 701هـ/1301م.[17]

---

[12] ذ-عبد الحليم عويس، «دولة بني حماد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري»، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991م، ص21.

[13] -ذكر ياقوت الحموي في كتابه «معجم البلدان» أن قلعة بني حماد «مدينة متوسطة، لها قلعة بنيت فوق قمة جبل سميت باسم تقريوست، هذه القلعة جد محصنة وتقع شرق المدينة.

[14] -عبد الحليم عويس، مرجع سابق، ص90.

[15] -عبد الحليم عويس، مرجع سابق، ص100.

[16] -محمد كمال سليمان حمادة، «الخطاب الشعري عند ابن حمديس الصقلي»، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، 2012م، ص25.

[17] -عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، «تاريخ الجزائر العام»، الجزء الأول، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1965م، ص387.

اشتهرت بجاية بوفرة العلم وتطوُّر الفنون وتقدُّم الصناعات المتعلقة بالعتاد الحربي وأواني النحاس والفضة وصناعة الشمع، وقد بلغت التجارة الخارجية أوج سموها؛ حيث عرفت بجاية تصدير الشمع إلى إيطاليا، «ولا يزال مسمَّى الشمع عند الأوربيين بوجي Bougie وهو اسم بجاية في نطقهم الإفرنجي.[18] شهد العهد الحمادي هجرةَ الهلاليين إلى المغرب العربي، وخاصة إلى الجزائر، يقول توفيق المدني: إن «الخليفة الفاطمي بمصر حين أراد أن ينتقم من المعز الصنهاجي لخلعه سلطانه وانتمائه للعباسيين، أرسل عليه وعلى بلاده القبائل الأعرابية من بني هلال وبني سليم ومَن معهم، فأقبلوا بخيلهم ورَجْلِهم، وطغت موجتهم الأولى على دولة صنهاجة بالبلاد التونسية، ثم اجتاحوا دولة الحماديين.[19] أخذ الصراع بين العرب والأمازيغ بُعدًا ومنحنًى آخَر، استُهدفت فيه المعالم الثقافية والتاريخية، وهذا ما وقع عند الهجرة الهلالية لبلاد المغرب في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، أو بالأحرى ما عَلِق بالعرب الهلاليين من تخريبهم لإفريقية كما ورد عن المؤرخين المسلمين والمستشرقين. حمَّلت المدرسة الفرنسية القبائل الهلالية مسئولية انحطاط المغرب وفقدانه لمقوِّمات البقاء من خلال ما نشره إرنست مرسيي Ernest Mercier في كتابه «تاريخ استقرار العرب بإفريقية الساحلية من خلال وثائق المؤلفين العرب، وعلى الخصوص تاريخ البربر لابن خلدون» (1875) وكتابه «تاريخ إفريقية الساحلية من الأزمنة البعيدة إلى الفتح الفرنسي» (1888)، وقاسم هذه النزعة العنصرية كلٌّ من جورج مارسي Georges Marçais وإميل فليكس غوتيي Emile Félix Gautier بشهاداتهم حول إشاعة الهلاليين للفوضى وإجبار البربر إلى الانسياق لبداوة الجزيرة العربية، واغتصاب أراضيهم ومصادرتها، مكيفين تعريب المنطقة البربرية من «الجرائم الكبرى». لقد وظَّفوا ما قاله ابن خلدون في تأريخه لهذه الهجرة في قالب إيديولوجي استعماري.[20] انساق العديد من الكتَّاب والمفكرين العرب وراء طرح المدرسة الاستشراقية، ويمكن فقط ذكْر ما توصَّل إليه فكْر الهادي روجي إدريس من أنَّ هجرة بني هلال تُصنَّف ضمن «الكوارث» التي حلَّت بالمغرب العربي و«ضربة قاضية لحضارة المغرب».[21] يقول عبد الرحمن بن خلدون عن إفريقية والمغرب: «لما جاز إليها بنو هلال وبنو سليم منذ أول المائة الخامسة وتمرَّسوا بها لثلاثمائة وخمسين من السنين؛ قد لحق بها وعادت بسائطه خرابًا كلها بعد أن كان ما بين السودان والبحر الرومي كله عمرانًا، تشهد بذلك آثار العمران فيه من المعالم وتماثيل البناء وشواهد القرى والمدر، والله يرث الأرض ومَن عليها وهو خير الوارثين.[22] غَض النظر عن بعض عوائد التوحُّش التي أَلِفها العرب في صحراء مصر، والسلوكات السلبية المحسوبة على الهجرة الهلالية، غير أنها لم ترقَ إلى اعتبارها عاملًا من عوامل السقوط؛ بل إنَّ الواقع التاريخي يُشيد

---

[18] -عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، مرجع سابق، ص384.

[19] -أحمد توفيق المدني، «كتاب الجزائر»، المطبعة العربية، الجزائر، 1931م، ص25.

[20] -عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، الجزء الأول «المقدمة»، الفصل 29 في أن العرب «إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب»، ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001م، ص178.

[21] -علاوة عمارة، «دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي»، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م، ص13-16.

[22] -أصل الكلمة نور ثمن: «رجال الشمال»، وهم من النرويج والدانمارك، انتقلوا أيام شارلمان إلى منطقة نورمنديا وعرفوا بالقرصنة البحرية (مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص256.

بالدور الرائد لبني هلال في الحروب ضد الصليبيين وفي فتوحات الأندلس؛ بل أبعد من ذلك ما أثبته ابن خلدون في كتابه «العمران»، عندما أعزى انحطاطَ العالم الإسلامي وركونه إلى الضعف بسبب تراجع العصبية العربية، ووصول القيادات القَبَلية العسكرية الممثَّلة في الأتراك والبربر إلى قيادة الأمة الإسلامية، حسب قوله. شهدت الدولة الحمادية غزو النورمان لجيجل سنة 537هـ،[23] واتسمت بودية علاقتها بالمسيحيين، وصارت مركزًا تجاريًّا، وتجلَّت فيها معالم الحضارة في قصورها ومساجدها ومساكنها وطرقها. سادت فيها اللغة العربية وأصبحت اللغة الرسمية للدولة. لم يفلح عبد الله المهدي في نشر المذهب الشيعي الإسماعيلي في الأوساط الجزائرية، ولعل أهم عامل قضى على هذا التيار السياسي والمذهبي هو ثورة أبي زيد المحتسب الملقَّب بصاحب الحمار (ت336هـ/947م) تحت لواء المذهب الإباضي.[24] ساد المذهب المالكي في الجزائر واعتمد في تأصيله تدريس موطأ الإمام مالك بن أنس (ﷺ) ويرجع توسُّع الأخذ به، في عهد سحنون بن سعيد التنوخي (ت٢٤٠هـ/٨٥٥م) عندما شغل منصب قاضي إفريقية، ثم تولَّى نشره وتعليمه أبو زيد القيرواني (ت٣٨٦هـ/٩٩٦م)،[25] سعى أبو حفص عمر بن الحسين الصابوني على رأس السادة المالكية في الجزائر في نشر المذهب المالكي بتأييدٍ من سلطة بني حماد. أما عن انتشار المذهب الإباضي، فاقتصر تواجد هذا المذهب في بعض مناطق الجزائر، «لم ينجح أتباع مذهب جابر بن زيد إلا في الحفاظ على جزء صغير من نفوذهم بوارجلان (ورقلة) وأسوف (واد سوف) وخصوصًا ببلاد مصعب (ميزاب)؛ حيث لجئوا إلى هناك وبنوا مدن العطف وبنورة وبني يسجن وغرداية ومليكة.[26] أطاح المرابطون بآخر أمراء الدولة الحمادية يحيى بن عبد العزيز سنة ٥٤٧هـ، وانتهى بذلك حكم الدولة الحمادية من بجاية.

[23]- عبد الرحمن بن خلدون، مرجع سابق، ص188.

[24]-علاوة عمارة، «دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي»، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م، ص131.

[25]-علاوة عمارة، مرجع سابق، ص133.

[26]-علاوة عمارة، مرجع سابق، ص131.

المحاضرة(02) الوضعية العامة للمغرب الأوسط قبل القرن15م(ب).

6- دولة المرابطية: 472-539هـ/1079-1145م:وهم من الأمازيغ الذين ربطوا أنفسهم لخدمة الدين من قبائل لمتونة ومسوفة وجدالة، التي استقرَّت بجنوب المغرب وضفاف نهري السنغال والنيجر، ويُقال لهم الملثمون. عاشوا حياة الاعتزال في الصحاري، وانقطعوا بجزيرة،[27] وربطوا أنفسهم للطاعة والذكر مع شيخهم عبد الله بن ياسين المتوفَّى سنة 451هـ/1059م مؤسس طائفة المرابطين، وهم الذين يُقال لهم التوارق.[28] تزعَّم الدعوة المرابطية في منطقة السودان أبو بكر بن عمر اللمتوني، وفي المنطقة الساحلية لمراكش يوسف بن تاشفين. أخذت هذه الدعوة الإصلاحية في التوسُّع واستحوذت على قلوب الكثير من المريدين، وانتقلت من مرحلة الدعوة إلى مرحلة قيام الدولة. أسَّس يوسف بن تاشفين مدينة مراكش سنة (465هـ/1073م)، وتمكَّن من السيطرة على كامل المغرب من مراكش إلى الحدود الشرقية لمملكة بني حماد. عُرف يوسف بن تاشفين بدهائه في المعارك؛ فقد استطاع أن ينتصر على جيش الإسبان بقيادة «الأذفونش السادس» في معركة الزَّلاقة سنة (479هـ/1086م)، بعدما تفطَّن لخديعةٍ طمأن فيها الإسبان المسلمين بعدم مواجهتهم يوم الجمعة لقداسته، إلا أنَّ جيش ابن عبادة كان مستعدا وقت صلاة الجمعة، فانتصر المسلمون انتصارًا عظيمًا وفرَّ الألفونش السادس في نفرٍ قليلٍ من أصحابه.[29] أمَّا على صعيد تعزيز سلطان الدولة المرابطية، فغزا يوسف بن تاشفين سنة 472هـ تلمسان في 20 ألفًا من المرابطين، فعسكرَ بها وسكَّ اسمه في جهة، وفي الأخرى كتب وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ سنة ثلاث وسبعين 473هـ/1077م.[30] وفي سنة 474هـ عسكرَ بتاقرارت وأقام بها وافتكَّها من أيدي بني يعلى الخزريين، وأصبحت مدينة واحدة مع تلمسان، واتخذها المرابطون عاصمة لهم.[31] بنى فيها يوسف بن تاشفين جامعها الكبير سنة 495هـ/1066م. مَلَكَ وهرانَ بعده ابنه علي سنة 500هـ/1106م، وفي أيامه ظهر أمر الشريف المهدي بن تومرت القائم بدولة الموحدين.[32] تُوفي يوسف بن تاشفين سنة 500هـ، وخَلَفه ابنه علي بن يوسف. في سنة 516هـ أشعل المهدي بن تومرت الموحدي نارَ الثورة على عليٍّ؛ فكانت تلك الحرب سببًا في سقوط الدولة المرابطية سنة 539هـ/1145م[33]، قُتل في معركةٍ على إثرها قرب مدينة وهران تاشفين بن علي بن يوسف، وانتصر عبد المؤمن بن علي الموحدي معلنًا بذلك قيام الدولة الموحدية.

---

[27] -يرى ابن خلدون أن الجزيرة ببحر النيل.أما الاستاذ يحيى بوعزيز ، فيرى أنها تقع بحوض نهر السنغال.

[28] -آغا بن عودة المزاري، «طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر»، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1990م، ص132.

[29] -محمد حسن العيدروس، «المغرب العربي في العصر الإسلامي»، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2008م، ص670.

[30] -آغا بن عودة المزاري، «طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر»، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1990م، ص133.

[31] -مبارك بن محمد الميلي، «تاريخ الجزائر في القديم والحديث»، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص283.

[32] -آغا بن عودة المزاري، مرجع سابق، ص135.

[33] -عمار بوحوش، «التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية ١٩٦٢»، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، 1997م، ص39.

7- دولة الموحدية: 524-668هـ/1130-1269م :أصلُ تسميتهم بالموحدين تعود لعِلم التوحيد الذي عُرف به أتباع الشيخ الشريف المهدي بن تومرت؛ فهو الذي سمَّاهم بذلك تعريضًا بالمرابطين. وهو أول ملوك الدولة الموحدية.[34] اشتهرت الدولة الموحدية عند نشأتها بانتشار العلوم المختلفة، ولقي ميدان الفنون عناية كبرى، نبغ فيها الشريف بن عمارة.[35] ويوسف بن يعقوب الوارجلاني[36] ،دخل جد المهدي ابن تومرت مع أبيه المغربَ مع عقبة بن نافع الفهري في فتحه الإسلامي. بُويع سنة 516هـ/1122م وخَلَفَه تلميذه عبد المؤمن بن علي الكومي الزناتي[37] على رأس الدولة الموحدية، وبُويع سنة 524هـ/1130م بعد وفاة ابن تومرت. كان عبد المؤمن بن علي فصيحَ اللسان، ضليعًا في علوم اللغة العربية والأدب والتراجم، اعتنى بتنظيم الجيش والتعليم والدواوين والأسواق، عقدت في عهده الدولةُ الموحدية معاهداتٍ مع جمهورية جنوة، كانت العلامة السلطانية عند الموحدين في رسائلهم «الحمد لله وحده».[38] بعد قضائه على الدولة الحمادية احتل عنابة، ثم واصل مسيرته إلى تونس ومدينة المهدية فاستولى عليهما سنة 555هـ، واستطاع القضاء على الاحتلال النورماندي بالأراضي التونسية.[39] وقد أورد آغا بن عودة المزاري قولًا لابن رزقون فيه حديث المدوَّنة التي أشار إليها مفدي زكريا بتسمية «أعز المطالب»، قال: «كنت في العلماء الذين جمعهم عبد المؤمن بن علي سنة خمسين من القرن السادس موافق لـ 1155-1156م و التي أمر فيها بحرق كتب الفروع، وقام وزيره أبو جعفر بن عطية وقال: بلغ سيدَنا أن قومًا تركوا الكتاب والسنة، وصاروا يفتون بفروعٍ لا أصول لها، «فمن نظر فيها عاقبته»، وأهم عندهم كتابَ يُقال له «المدوَّنة» لا يرجعون إلا إليه، ومن العجب قولهم بإعادة الصلاة في الوقت، مراده بذلك أن يحمل الناس على مذهب ابن حزم الظاهري، قال فحملتني الغَيرة، وتكلمت بأن رسول الله (ص) لما صلَّى أعرابي أمامه قال له: «صلِّ فإنك لم تصلِّ.» كما في صحيح البخاري. فقال: لا أحسن غير هذا، فعلمه، فلم يأمره بإعادة ما خرج وقته، فقام عبد المؤمن وسكن الحال ولم أرَ منه بعد هذا إلا الكراهة.[40] في سنة 558هـ ندب عبد المؤمن عرب بجاية إلى الحرب في الأندلس برسالة

---

[34] -آغا بن عودة المزاري، مرجع سابق، ص142.

[35] -هو أبو طاهر عمارة بن يحي بن عمارة الشريف الحسني، له علم وأدب وفضل ونبل، قضى في بعض النواحي ببجاية، كان متقدما في علم العربية والأدب، وله تأليف في علم الفرائض منظوم، وتواشيحه في نهاية الحسن وبها يضرب المثل، وكثيرًا ما يقول الناس عندما يشطط الإنسان على الإنسان في الطلب فيجاوبونه أغرغ لك موشحًا لعمارة — عن موقع المكتبة الشاملة shamela.ws.

[36] -هو أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن مياد السدراتي والوارجلاني، ارتحل إلى الأندلس وسكن قرطبة، وفيها تعلم علوم اللسان الحديث والتنجيم وغيرها، وفسر القرآن تفسيرًا كبيرًا فائقا جمع فيه من العلوم ما لم يذكره غيره. له مؤلفات، أشهرها: تفسير القرآن الكريم، العدل والإنصاف في أصول الفقه، الدليل والبرهان، مرج البحرين في المنطق والفلسفة وفتوح المغرب. توفي سنة ٥٧٠هـ ،بتصرف عن موقع نور الاستقامة noor-alestiqamah.com.

[37] -عاهل إفريقية عبد المؤمن بن علي التاجري الكومي نسبة إلى كومية، وهي قبيلة بربرية، ولد بضيعةٍ من أعمال تلمسان تعرف بـ«تاجرا» بنواحي ندرومة سنة 490هـ وقيل سنة 500هـ ، ينظر :عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزء الثاني، دار الثقافة، بيروت، 1980م، ص7.

[38] -مبارك بن محمد الميلي، «تاريخ الجزائر في القديم والحديث»، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص309.

[39] -عمار بوحوش، «التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962»، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، 1997م، ص40.

[40] -آغا بن عودة المزاري، «طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر»، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1990م، ص146.

ختمها بأبيات من نظمه ذكرها المبارك الميلي في مؤلّفه.[41] فرض عبد المؤمن على اليهود والمسيحيين أن يتميَّزوا بلباسهم حتى يُعرفوا، وبنى القلاع والمصحات. اعتمد المذهب المالكي وأمر جماعةً من المحدّثين بجمع الأحاديث من الموطأ والصحيحين والترمذي وأبي داود والنسائي والبزار وابن أبي شيبة والدارقطني والبيهقي.[42] انتهج السكان الأمازيغ من الحضر والرحَّل عقيدةَ أهل السنة والجماعة، واتخذوا من المذهب المالكي مسلكًا فقهيا لهم، «وكان للتقارُب بين القيادات الفقهية المالكية بالمغرب الأوسط، وخصوصًا ببلاد المرابطين في المغرب الأقصى والأندلس، الأثرُ الكبير في بناء ثقافة فقهية مالكية.[43] تُوفي عبد المؤمن بن علي سنة 558هـ/1163م، ودُفن بتنمليل بجوار شيخه المهدي بن عبد الله تومرت. تولَّى من بعده الإمارة أبو يعقوب يوسف (ت579هـ)، ثم المنصور (ت580هـ) وانتهت بعد حكم إدريس الواثق سنة 668هـ/1269م. ظهر في عهد الدولة المؤمنية التصوُّف بالجزائر، واشتهر به أبو مدين شُعيب الأندلسي دفين تلمسان المتوفَّى سنة 591هـ أو 594هـ على خلاف. تعرَّف بالشيخ عبد القادر الجيلاني بعرفة وأخذ عنه، واستوطن بجاية، فكان يُقرئ بها رسالة القشيري وغيرها، وكثُر أتباعه فاستقدمه يعقوب المنصور إلى مراكش، فلما بلغ تلمسان تُوفِّي بها، ودُفن برابطة العباد.[44] يشهد علماء المشرق والمغرب بفضل الرعيل الأول من رجالات الجزائر في التمدُّن والتحضُّر ورِفعة الكعب في العلم، ولقد أحسن مفدي زكريا إذ خلَّد في إلياذته تميم بن خريف في التأسيس للأرقام العربية التي تعتمد على الزوايا وقيمة الرقم؛ فإذا كانت زاوية واحدة فهو واحد، أو زاويتان فهو اثنان ... وهكذا على تسع[45] استطاع الموحدون توحيدَ المغرب العربي، وردَّ هجومات الصليبيين عن شمال إفريقية، وبسطَ نفوذ المسلمين في الأندلس بعد انهيار دولة الأمويين بالأندلس في سنة 422هـ/1031م واستيلاء الطوائف على كل مقاطعة.[46] كانت هزيمة معركة «الغراب» على المسلمين سنة 609هـ/1214م نكبةً كبيرة في تاريخ المسلمين، وكان لها الأثر البالغ في تمرُّد الأندلسيين على الموحدين، وفتحت أبوابَ حربِ بني مرين على بني عبد المؤمن بالمغرب الأقصى، واعترى الدولة الموحدية الضعف والوهن وآلت إلى السقوط. ومن أسباب إضمحلال الدولة الموحدية:

1- **الأسباب الاقتصادية:** تمثلت في الأزمة الكبيرة التي واجهت حكم الناصر الموحدي، فوجدت الدولة نفسها مضطرة لرصد نفقات عسكرية باهضة لمواجهة الأوضاع المتدهورة في الأندلس وافريقية، إذ في فترة ثلاثين سنة، أي منذ تولي يعقوب المنصور الحكم إلى وفاة الناصر (580 – 610هـ)، تحرك الجيش الموحدي في اتجاه إفريقيا والأندلس، وأن هذه الحملات كلفت خزينة الدولة أموالا طائلة وإستنزفتها ماليا مما أثر سلبا على المجتمع، مما دفع الناصر إلى جعل كل قبيلة تساهم بعدد من الرجال والخيل ليخرجون معه للجهاد.

---

[41] -مبارك بن محمد الميلي، «تاريخ الجزائر في القديم والحديث»، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص324.

[42] -نفسه.

[43] -علاوة عمارة، «دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي»، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م، ص115.

[44] -مبارك بن محمد الميلي، مرجع سابق، ص347.

[45] -محمد حسن العيدروس، «المغرب العربي في العصر الإسلامي»، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2008م، ص639.

[46] -عمار بوحوش، «التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962»، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، 1997م، ص41.

2- **الأسباب السياسية والعسكرية:** يمكن إبرازها كما يلي: -الخطر الدائم الذي مثلته الممالك المسيحية، والتي كانت تتطلع إلى شن حرب استردادية عليها.

-التحرشات العسكرية لبني غانية ، ووجود دول مناوئة بإفريقية،مثل إمارة بني حفص.

- اعتماد الدولة الموحدية على العصبية القبيلية (المصامدة) في إخضاع قبائل عدة في قيامها، لذلك كان من الطبيعي أن تتمرد تلك القبائل وتثور تلك العصبيات للانفصال عن الدولة ،فتمردت قبائل صنهاجة وزناتة عليها.

3- الأسباب الدينية:

- اعتبرالموحدون أنفسهم أهل "التوحيد"، و على الجميع أن يلتزم بآراء ابن تومرت.-إقدام عبد المؤمن بن علي على تغيير نظام الحكم من خلافة مبنية على البيعة والشورى إلى خلافة وراثية مما أدى إلى تنافس بين الأبناء والأحفاد حول العرش .

-إفتقارالأجهزة الإدارية الموحدية للكفاءات السياسية والعسكرية ، القادرة على تسييردواليب الحكم الدولة.قامت على أنقاض الدولة الموحدية ثلاث دول: الحفصية، والمرينية، والزيانية. كان الصراع المفضي إلى الاقتتال أبرز مظاهر نشأة هذه الدول، ولعل طمع الإسبان في الإغارة على المغرب واستعماره كان ناتجًا عن ضعفها وذهاب ريحها وإطلاق عنان الحملة الصليبية عليها، «ولولا قيام الدولة التركية بأساطيلها في وجوه الدول الأوربية لَلحِقَ المغرب بالأندلس وصقلية.[47] وقد سبق لصلاح الدين الأيوبي أن طلب من المنصور عام 580هـ يستنجد به فيها على الإفرنج الخارجين عليه بساحل البلاد الشامية، خاصة أن أساطيلهم كانت تمر بممر جبل طارق، وكان حامل الرسالة شمس الدين بن منقذ، غير أن طلبه قُوبل بالرفض.[48]

1-الدولة الحفصية: 627-943هـ/1229-1536م :يعود أصل الحفصيين إلى أبي حفص عمر بن يحي الهنتاتي، أحد العشرة المقربين من ابن تومرت،[49] تُوفي سنة 571هـ، ومن أشهر أبنائه: أبو زكريا، سمح له موقعه ونفوذه باحتلال قسنطينة وبجاية والجزائر وتلمسان. احتلت إسبانيا في سنة ٩١٥هـ/١٥١م بجاية، ودلس والجزائر من غير مقاومةٍ حفصية، وفي سنة 919هـ احتلت جيجل، وفي سنة 941هـ تنازل الحسن عن بونة فتم خروج الجزائر من أيدي الحفصيين.[50] تسبَّبت الفتن الداخلية وغارات الإسبان والبرتغاليين ووهن الجيش في إضعاف الدولة الحفصية، فكان سقوطها حتميا سنة 748هـ/1347م. بدأت أولى التدخلات العثمانية في بلاد المغرب على يد بربروس وخير الدين من جهة تونس، وقد تمكّن من تحرير بجاية وبقية السواحل التي ملكتها إسبانيا، وسُرَّ به الحفصيون، ثم استرجع جيجل سنة 920هـ والجزائر سنة 922هـ، فولّاه سليم العثماني عليها، وكان ذلك أول

---

[47] -مبارك بن محمد الميلي، «تاريخ الجزائر في القديم والحديث»، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص355.

[48] -لم يجبه سلطان الموحدين لذلك، لا لشيء سوى أنه لم يخاطبه بأمير المؤمنين، فضاعت فرصة غالية لاتحاد المسلمين ضد الصليبيين بالمشرق والمغرب ،ينظر:محمد حسن العيدروس، «المغرب العربي في العصر الإسلامي»، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2008، ص677.

[49] -مبارك بن محمد الميلي، مرجع سابق، ص382.

[50] - -مبارك بن محمد الميلي، مرجع سابق، ص412.

قدم للعثمانيين بالجزائر.[51]

2- الدولة المرينية: 668-796هـ/1269-1393م :يُنسب المرينيون إلى جدّهم مرين بن أمير الناس على قولٍ، وابن ورناجن على قولٍ آخَر، وأما تسميتهم ببني حمامة فنسبة لجدهم حمامة بن مُحَمَّد بن ورزين.[52] في خضم الحروب الصليبية المعلنة وتحالفات الإمبراطوريات الأوروبية، انشغل المرينيون بالصراع مع بني عبد الواد، فوهنت قواهم، وتشتَّت شملهم، واشتدت بهم عواصف الفُرقة، وضعفُت لذلك غرناطة التي كانت تستمد منهم المدد العسكري والمالي، فسقطت على يد الإسبان سنة 897هـ.

3- الدولة الزيانية: 633-962هـ/1235-1554م:امتد نفوذ الدولة الزَّيانية إلى معظم التراب الجزائري، وكانت عاصمتها تلمسان، ومن المرجح، أن تلمسان هي اسم عَلم زناتي مركَّب من «تلم» بمعنى تجمع، و«سان» بمعنى اثنين؛ أي أنّها تجمع بين اثنين: التل والصحراء، لاعتبارات مصيرية تخص بقاء الدولة واستمرار نفوذها. تحالف الزيانيون مع الموحدين وبقوا على خلافهم مع المرينيين والحفصيين. تُنسب إلى زيان بن ثابت بن مُحَمَّد بن زيدان والد يغمراسن من بني طاع الله، «وبنو طاع الله من بطون بني القاسم من عبد الواد.[53] ويرتفع نسبهم إلى إدريس بن عبد الله الكامل، نسبتهم لعبد الواد من جدهم لأمهم عبد الواديذ[54] بن يادين بن مُحَمَّد رزجيك بن واسين. كان أول مَن حكمها، أبو يحي يغمراسن بن زيان بن ثابت بن مُحَمَّد العيد الوادي،[55]وُلد سنة 603هـ، أسَّسها سنة 633هـ/962م وبُويع في هذه السنة يوم كان الحُكم لبني عبد المؤمن، أما الذين من قبله فلم يكن لهم الحكم والسيادة؛ بل مجرد المشيخة والريادة، «وفي رواية، أنه بدأ حكمه في أيام الرشيد عبد الواحد بن إدريس المأمون.»[56] ،عُرف يغمراسن بتديُّنه ومحبته لأهل العلم والأدب ومجالسة الصالحين، ومن آثاره صومعتا جامعَي تلمسان القديمة والحديثة. سُئل أن يأمر بكَتْب اسمه في صومعة الجامع الأعظم، فأبى وقال: «عِلم ذلك عند ربي.» وقد أورد مُحَمَّد بن عبد الله التنسي في كتابه[57] قولًا ليحيي بن خلدون أن يغمراسن قال بالزناتية: «يسنت ربي»؛ أي علمه لله، غَيَّر يغمراسن " عندما استقر له الأمر وكثر ماله " اسم تاجرارت من اسمها القديم إلى تلمسان، المعروفة الآن.[58] بعد محاولات عدة للسيطرة الحفصية على الجزائر، أغار أبو زكريا الحفصي على تلمسان سنة 1242م،

---

[51]-مبارك بن محمد الميلي، مرجع سابق، ص413.

[52]-آغا بن عودة المزاري، «طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر»، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1990م، ص168.

[53] -مبارك بن محمد الميلي، مرجع سابق، ص439.

[54] -أصله عابد الوادي، صفة لتبتله بوادٍ هناك،ينظر:عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، «تاريخ الجزائر العام»، الجزء الثاني، دار الثقافة، بيروت، 1980م، ص141

[55]-أورد آغا بن عودة المزاري في كتابه «طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر» في صفحته 162 قولا للحافظ أبي راس في كتاب «الحاوي» أن معنى يغمراسن بلغتهم كثيرُ المرق، ولقب بذلك لكثرة جوده.

[56] -محمود آغا بوعياد، «تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان»، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011م، ص125.

[57] -ابن الأحمر، «تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان»، تحقيق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، مصر، 2001م، ص38.

[58] -نفسه.

لكن جيش يغمراسن كان بالمرصاد واستطاع صد الهجوم. هذا عن الحفصيين، أما عن أطماع المرينيين فلم تلبث أن طفت مرة أخرى على سطح العلاقات بين الإمارات الإسلامية، وتعكّر صفو الدولة الزيانية، حتى بادر يعقوب بن عبد الحق المريني لتوجيه جيشه للإغارة على يغمراسن. كانت الموقعة بوادي تلاغ سنة 666هـ/1267م، انهزم فيها الجيش الزياني شر هزيمة، قُتل فيها أبو حفص عمر بن يغمراسن بن زيان، وكان كبير أولاده وولي عهده، وهلك في المعركة نفرٌ من أكبر رجال بني زيان.[59] بعد ثلاث سنوات، من موقعة تلاغ، أعاد يعقوب الكرَّة على الدولة الزيانية، ومُني مرةً أخرى يغمراسن بهزيمة في معركة إيسلي الشهيرة، وفقدَ هذه المرَّة ابنَه أبا عدنان فارس وبضعًا من أهل بيته. استغل يعقوب المريني شقاقًا بين يغمراسن وطائفة من بني عمومته، وجعله عاملا من عوامل القضاء على يغمراسن، وكان على رأسهم أبو زيان مُحَمَّد بن عبد القوي بن العباس بن عطية بن توجين من زناتة.[60] تُوفي يغمراسن يوم الإثنين 29 ذي القعدة سنة 681هـ الموافق لـ 28 مارس 1283م بـ «رهيو» بعد عودته من مليانة وعمره 76 سنة.[61] خَلَفه ابنه أبو سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيان681هـ/1303م، ثم جاء من بعده ابنه مُحَمَّد بن السعيد سنة 703هـ/1304م، وجدد الدولة أبو حمو موسى الثاني. في غَمرة التهديدات التي كان يطلقها الأسطول الإسباني على الجزائر، دخل الأتراك إلى الجزائر في عهد الحسن بن عبد الله الثاني 957هـ/1550م، وقد كان آخر عهد الدولة الزيانية بالحكم.ويُنسب لبني عبد الواد حرصهم على العلم وترقية القضاء والعمران، ويعود لهم الرسم الحالي لحدود الجزائر المعاصرة. ألحق الأتراك إمارة بني زيان للحكم العثماني، ونقلوا العاصمة من تلمسان إلى الجزائر بعدما أنقذوها من الإسبان، وأخذت الجزائر يومها نظامَ حكمٍ آخر وسياسةً مخالفةً لما سبق.[62]

[59]-ابن الأحمر، «تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان»، تحقيق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، مصر، 2001م، ص19.

[60]-ابن الأحمر، مرجع سابق، ص23.

[61]-محمد بن عبد الله التنسي، «تاريخ بني زيان ملوك تلمسان»، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011م، ص128.

[62]-ابن الأحمر، مرجع سابق، ص51.

المحاضرة (03): أوضاع المغرب الأوسط أواخر القرن15م وبداية القرن 16م
(أ–السياق الإقليمي).

أ– الوضع العام قبيل قدوم الإخوة بربروسة في المغرب الإسلامي : كانت منطقة المغرب تعيش في وضع متدهور ومسّ ذلك مختلف المجالات ،وتجليات ذلك:

1–التفكك والانقسام والفوضى ،والناتج عن ميلاد ثلاث إمارات مستقلة ومتناحرة فيما بينها.

2–احتدام الاقتتال والتنافس بين تلك الإمارات ومحاولات التوسع بعضها على حساب البعض الآخر.

3–الصراع على السلطة بين أبناء الأسرة الواحدة في كل دولة من تلك الدويلات المستقلة.

4–الضعف الاقتصادي والعسكري والغليان الاجتماعي في كل الدويلات الثلاثة [63]. ويمكن توضيح ذلك على النحو التالي:

– طرابلس الغرب(ليبيا) : كانت خاضعة للحفصيين لكنها استقلت مع نهاية القرن 15م ،وشكلت مناطق قابس وطرابلس وتاجوراء ، حكم ذاتي ثم مع بداية القرن 16م استقلت نهائيا عن الحفصيين ،بولكن لم تدم طويلا فقد احتلها الإسبان في سنة 1510م ،ثم منحها ملك إسبانيا شارل الخامس (شارلكان) إلى فرسان مالطة سنة1530م.

– تونس الحفصية : استعاد الحفصيون في تونس قوتهم مع بداية القرن 15م ،على أيدي السلطان الحفصي أبي العباس ،ثم ابنه أبي فارس ،اللذان أعادا للدولة الحفصية وحدتها ونشاطها ،ولكن بنهاية عهدهما دخلت الدولة في حالة من الضعف أواخر القرن 15م ،لعوامل هي:

1–ضعفها الاقتصادي وتراجع دوربها التجاري بسبب حركة الكشوف الجغرافية الأوربية.

2–انفصال المناطق الجنوبية من تونس وبعض القبائل عن السلطة المركزية.

3–تراجع نفوذ الحفصيين بسبب ضعفهم وانحصاربم في تونس العاصمة.

4–التبعية للإسبان التي أضعفت السلطة الحفصية .

– المغرب الأوسط (الدولة الزيانية) :

كانت الدولة الزيانية أو دولة بني عبد الواد، و أكثر دول المغرب الإسلامي ضعفا،ويعود ذلك لعوامل منها:

1–وقوع الدولة الزيانية في المغرب الأوسط بين دولتين تسعى كل منها إلى التوسع فالحفصيين في تونس من جهة والمرينيين في المغرب الأقصمن جهة أخرى.

2–اشتعال صراع بين أبناء الأسرة الزيانية في تلمسان على العرش.

[63] -الشافعي ،المرجع السابق.

3-انقسام الدولة الزيانية منذ نهاية القرن15م على نفسها إلى إمارات ومدن مستقلة منها :تنس والحضنة والزاب وتقرت والجزائر ...

4-تعرض موانئ الدولة الزيانية إلى الاحتلال الإسباني ببداية القرن16م خاصة : المرسى الكبير ووهران وغيرهما[64].

-المغرب الأقصى:

كانت دولة بني مرين (الدرينيين) تعاني حالة من الضعف واالانقسام ،ومن ملامحه:

1-عجز المرينيين و الوطاسيين والسعديين ،عن مواجهة العدو الخارجي المتمثل في البرتغاليين.

2-احتلال البرتغاليين ببداية القرن 15م موانئ المغرب االأطلسية ،مثل :ماسا ومازكان ،وأغادير وأسفي وطنجة وأصيلا وغيرها.

2-احتلال الإسبان لمليلة وحجر بادس 1508م ،ليبدأ الاستيطان الاوربي في الريف.

3-ظهور الأشراف السعديين عام 1509م بجنوب المغرب الأقصى وقيامهم بتحرير الدوانئ المغربية من الاحتلال المسيحي البرتغالي ،وقضائهم على حكم الوطاسيين .

ب-أطوار التوجد العثماني و المغرب الإسلامي(الأوسط):بعد أن فتح ''السّلطان مُحَمَّد الفاتح'' (عمره 23 سنة) القسطنطينية (اسطنبول حاليا) عاصمة الإمبراطورية البيزنطية سنة 1453م، التي كان مركزها الرّوحي: آيا صوفيا، فنال مُحَمَّد الفاتح بِشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما ورد في الحديث النبوي الشّريف: " لتفتحن القسطنطينية،ولنعم الأمير أميرها،ولنعم الجيش ذلك الجيش "[65]، ولنِعم الجيش جيشها''، استقرّ فيها من ضمن الجنود الفاتحين لها ببحر (إيجه): والدُ الأخويْن بابا عروج وخير الدّين بربروس، وقد اشتهرَا بالمغامرة وركوب البحر، إلى أن استقرّ بهما الأمر في (جزيرة جربة بتونس، ومعهما ألفٌ من العثمانيين) في عهد السّلطان العثماني سليم الأول، وفيها تعرّفَا على فاجعة ضياع الأندلس، وما نقله الفارّون بأنفسهم ودينهم من المآسي والمواجع والأعمال الوحشية بسبب الحقد الصّليبي في إسبانيا بعد سقوط الأندلس سنة 1492م، وما قامت به محاكمُ التفتيش من الاضطهاد الدّيني والتطهير العرقي والتهجير القسري الواسع للمسلمين إلى شمال إفريقيا عمومًا وإلى الجزائر خصوصًا، وما تبِع ذلك من برامج التوسّع الإسباني بعدها، الذي دفع سدنة الحكم المسيحي الكاثوليكي إلى التفكير في نقل الحرب من الأندلس إلى شمال إفريقيا[66].في عهد السّلطان سليم الأول (1512م- 1520مبدأت الدولة العثمانية تتجه نحو وَحدة العالم الإسلامي، وخاصّة بعد أن كسرَت شوْكة الدولة الصّفوية الشيعية سنة 1514م، والقضاء على دولة المماليك في مصر والشّام المتحالِفة معها سنة 1517م، لتمثّل بذلك الكيان الدولي

---

[64] -الشافعي ،المرجع السابق.

[65] - حديث رواه أحمد في " مسنده "، وابنه في " زوائده " (4/ 335)، والبخاري في" التاريخ الكبير " (2/ 81)، والطبراني في " المعجم الكبير " (2/ 38)، والحاكم في " المستدرك " (4/ 468)..

[66] -ينظر إلى: ناصر حمدادوش،السياق التاريخي للوجود العثماني بالجزائر.

للأمّة كخلافةٍ إسلاميةٍ بعد الخلافة الرّاشدة والخلافة الأموية والخلافة العباسية، وتؤمّن ظهرَها من جهة الشّرق، وتتّجه نحو أوروبا التي تحمل كلّ ذلك الحقد الصّليبي المشترك ضدّ الإسلام والمسلمين. ولم تتوقف طموحات الدولة العثمانية عند زعامة العالم الإسلامي، بل بدأت في بسط نفوذها وهيمنتها العالمية، كما يقول الدكتور مُحَمَّد دراج في مقدمة كتابه: الدخول العثماني إلى الجزائر: ''وأمّا في عهد السّلطان سليمان القانوني (1520-1566م) فإنّ الدولة العثمانية بدأت تتجه نحو الزّعامة العالمية.. وفي هذا العصر أيضًا توحّدت أوروبا تحت راية الإمبراطورية الرّومانية المقدّسة[67].وفي مطلع هذا القرن أيضًا أدّى سقوط غرناطة في يد الإسبان إلى هجرة آلاف المسلمين إلى بلدان المغرب العربي- خصوصًا الجزائر.. فقام الإسبان على إثر ذلك باحتلال معظم مدن وموانئ الجزائر السّاحلية، مستغلّين الفراغ السّياسي الذي كانت تعيشه الجزائر في تلك الفترة فكان من أثَر ذلك أن قام علماءُ وأعيانُ الجزائر باستدعاء البحّارين التركيين: عروج وخير الدّين بربروس لقيادة حركة المقاومة الإسلامية لتحرير سواحل الجزائر وتقديم الدّعم اللاّزم لمسلمي الأندلس. كانت آخرُ دولةٍ للجزائريين قبل الوجود العثماني (1516م- 1830م) هي الدولة الزّيانية وعاصمتها: تلمسان، والتي استمرّت ثلاثمائة عام، وكان موقعها الجغرافي بين كيانيْن سياسييْن متحاربيْن ومتنافسيْن، وهما: الدولة الحفصية في تونس والدولة المرينية في المغرب وكذا التنافس على العرش بين أفراد العائلة الزّيانية السّبب المباشِر في سقوط هذه الدولة، وهو ما جعل بقاءَها كلّ هذه المدّة معجزة تاريخية.وقد خرجت الجزائر (المغرب الأوسط) من طاعة ملوك تلمسان، ولم يبق لتلك المملكة المتهالِكة إلّا عاصمتُها وشطرُ الجزائر الغربي، أمّا باقي القُطر فقد كان عبارةً عن إماراتٍ صغيرة ودويلاتٍ متفرّقة، لا تفصل بينها حدودٌ قارّة، ولا تربط بينها وَحدة نظامية سياسية أو عسكرية، وقد لعب انتشار الطرق الصوفية كسلطةٍ روحيةٍ دورًا رئيسيا في طبيعة ذلك الحكم المستقلّ لها، فقد كوّنت قبائل الونشريس دولة مستقلة، وخضعت أراضي زواوة لملك كوكو، وتجمّعت المنطقة بين عنابة والقل لشيخ قسنطينة الحفصي، وتأسّست مملكة تقرت بواي ريغ، واحتلّ الإسبان المرسى الكبير سنة 1505م، ومدينة وهران وأرزيو سنة 1509م، وامتدّ الاحتلال الصّليبي إلى دلّس وشرشال وتنس ومستغانم وبجاية سنة 1510م، وتمّ تسليم الجزائر للإسبان من قِبل حاكمها المستبدّ: سالم التومي، ولم تكن هناك قوّة حكومية موحّدة أو سلطة سياسية مركزية لهاويصف الشيخ عبد الرّحمان الجيلالي في كتابه: (تاريخ الجزائر العام) أوضاعَ الجزائر في ذلك الوقت، فيقول: ''كانت الجزائر أوائل القرن العاشر الهجري مرْتعًا للحروب الأهلية الممزِّقة، وغرَضًا ملحوظًا للأجانب المتوثّبين، تعاني الأمرّيْن: من الملوك المتنافسين والرّؤساء الجائرين المتنازعين، والنّصارى المغيرين تتميمًا لبرامجهم وخططهم الصّليبية المرسومة.. وذلك بعدما قضُوا على دولة الإسلام والمسلمين بالأندلس وصقلية''. وخلال ساعات من احتلال مدينة وهران وحامية المرسى الكبير ومملكة تلمسان -بكلّ تلك الوحشية والتعطّش لدماء المسلمين -تمّ قتل حوالي 4000 آلاف جزائري، مع النّهب والسّرقة لممتلكاتهم، وتحويل المساجد إلى كنائس، ومنها تحويل جامع المرسى الكبير إلى كنيسة[68]. وعادةً ما تتحقّق

[67]- حمدادوش، المرجع السابق.

[68] - حمدادوش، المرجع السابق.

انتصارات الأعداء في الخارج بالخيانات من الداخل، فيقول مبارك الميلي: ''وفِعلاً لم يتمكّن الإسبان من احتلال المدينة إلا بعد أن تفاهموا مع (ستُورا) اليهودي ورجليْن من المسلمين أدخلوا بعض الإسبان إلى المدينة فتولّوا فتحها في وجه إخوانهم.'' (تاريخ الجزائر، ج 02، ص: 382). استشعرَ الأخوان عروج وخير الدّين بربروس أنّ سلطان تونس بدأ يضيق ذرعًا من شهرتهما وقد خشِيَ على تهديد سلطانه، ففكّرَا في تحرير إحدى المدن السّاحلية لتكون قاعدةً لانطلاقتهما في مساعدة مسلمي الأندلس ومواجهة المدّ الصّليبي الأوروبي، فحاولا فتح مدينة بجاية سنة 1512م وفشلا، وخلال معركة التحرير بُترت ذراع بابا عروج فتراجعَا إلى تونس، ثمّ وقع الاختيار على مدينة جيجل، وقد تعرّضت للاحتلال المسيحي الجَنوي الإيطالي منذ 1260م، فتمّ فتحها سنة 1514م وبايعتهمَا قبيلة كتامة، وقد دفع هذا التحريرُ بالمتحمّسين إلى الضّغط من أجل تحرير كامل السّواحل الجزائرية من المسيحيين الأجانب، واستنجد علماءُ وأعيانُ بجاية بالأخوين عروج وخير الدّين لتحريرها من الإسبان فلَبّيَا الدعوة، وتمكّنَا من تحريرها سنة 1516م. كلّ ذلك شجّعهما على الاتجاه نحو مدينة الجزائر بطلبٍ من شيوخها وأعيانها الذين استاؤوا من حاكمها: سالم التّومي الذي تحالف مع الإسبان ومكّنهم من احتلالها. حينئذٍ فكّر سكان المدينة (الجزائر) في حيلةٍ للتخلّص من سالم التومي فراسلوا عروج يستنجدونه ويعلنون عزمَهم على تسليمه قيادة الجهاد، لكنّ سالم التومي عارضهم في ذلك، إلاّ أنّه اضطرّ إلى القبول في نهاية الأمر تحت ضغط الرّأي العام الذي كان يطالب بطرد المسيحيين وتخليص المدينة من تهديد الإسبان[69].فهزَم عروجُ الإسبان، وقتلَ حاكمَهم التّومي، وأعلن نفسَه سلطانًا على إسبانيا بمبايعة أهلِها وأعيانِها وعلمائِها، وأسّس إيّالة الجزائر كدولةٍ موحّدة، ورسَّم العلاقة مع الباب العالي سنة 1518م ضمن الخلافة العثمانية، وهو ما وفّر للدولة الجزائرية العثمانية الحديثة الشخصية الدولية والهيْبة العالمية طيلة أكثر من 300 سنة إلى غاية الاحتلال الفرنسي سنة 1830م.

[69]- الميلي، ج 1،المرجع السابق، ص .43

المحاضرة (04)المغرب الأوسط قبل قدوم الإخوة بربروسة (ب–السياق الدولي).

أ– المغرب الأوسط بعد سقوط غرناطة بالقرن15م: بعد توحيد مملكة أراغون بقيادة فرديناند،ومملكة قشتالة بقيادة الملكو إيزابيلا (1467–1516)،وبعد الزواج السياسي بينهما ،وجهت إسبانيا اهتمامها وزحفها بقواتها نحو إمارة غرناطة ،وهي آخر قلاع المسلمين في الأندلس والتي سقطت في يد الإسبان في3جانفي 1492 ،وفرضت عليها معاهدة الاستسلام .وهذا انتهت فترة حكم المسلمين التي امتدت نحو770 عاما أيّ من الفتح الإسلامي لإسبانيا والبرتغال عام 710 م إلى سقوط غرناطة 1492موتوقيع معاهدة بين الملك أبو عبد الله مُحَمَّد الصغيرو الملك فرديناند الخامس بعد حصار دام 9 أشهر ولامت أم عبدالله إبنها على التفريط في ملكه بالاندلس، وكانت آخر إمارة إسلامية في شبه الجزيرة الأيبيرية، وتحرك التوسيع للممالك المسيحية في عام 1492م انتهت حروب الاسترداد وتزامن ذلك باكتشاف الأوروبيين الأمريكتين أو "العالم الجديد" الإمبراطورية الثنائية الاسبانية البرتغالية و ترتب عن ذلك توقيع إسبانيا والبرتغال معاهدة "تورد سيلاس" و الموجودة حاليًا في مقاطعة بلد الوليد(إسبانيا)،وقعت في 7 يونيو 1494؛ وقُسمت الأراضي المكتشفة حديثًا داخل وخارج أوروبا بينهما ،وعلى إثر تدخل الكنيسة الكاثوليكية (بابا روما ألكسندر6) ،قسمت مناطق النفوذ بين إسبانيا والبرتغال في بلاد المغرب الإسلامي ، لتفادي الصدام بين الطرفين [70] .

ب– انعكاسات سقوط غرناطة على المغرب الأوسط :

1–ظهر "حرب الاستِّداد" ،التي وجهتها إسبانيا ضد مسلمي الأندلس وسكان المغرب الإسلامي.

2–بداية الهجرات الأندلسية نحو بلاد المغرب الإسلامي ،بسبب الإبادة والتقتيل الإسباني للمسلمين ، ففروا بأرواحهم وأبنائهم من بطش محاكم التفتيش المسيحية الإسبانية .

3–تطلع إسبانيا لبلدان المغرب،لملاحقة مسلمي الأندلس الفارين نحو المغرب الإسلامي.

4–قيام إسبانيا بعثات تجسسية أرسلتها إيزبيلا بإعاز من مستشارها الكاردينال أخسيمنيس على بلاد المغرب الإسلامي ،وكانت النتيجة احتلت إسبانيا موانئ مغاربية مثل المرسى الكبير(1505) بوهران (1509) ،بجاية (1510).

[70] - محاضرات الشافعي درويش، محاضرات في مادة تاريخ المغرب العربي الحديث،س2، قسم العلوم الإنسانية،جامعة الجلفة ،2022.

المحاضرة(05): الخطر الإيبيري والمد العثمانيفي أواخر القرن 15 ومطلع 16م.

أ-المميزات المرحلية للمغرب الأوسط: يمكن رصد الخصائص التالية:

1-زوال الدويلات المغاربية الضعيفة المتناحرة .

2- بداية الصراع العثماني الاسباني على المنطقة.

3-بدأ طرد الإسبان تدريجيا من السواحل وخاصة من جيجل، وبجاية والبنيون (1529).

4- استشهاد عروج في 1517 أثناء عودته من تلمسان .

5- فشل أكبر حملة عسكرية بقيادة شارلكان في 1514 على الجزائر العاصمة .

6-.كانت تمثل مرحلة التراجع الاسباني من السواحل الجزائرية وتوسع الوجود العثماني .

7-حاول العثمانيون الاستفادة من التعاطف الإسلامي لمواجهة الحملات الصليبية الاسبانية والبرتغالية .

8-استعان العثمانيون بشيوخ العلم والزوايا لمو اجهة الإسبان وا إنقاذ مسلمي الأندلس[71] .

ب- الزحف الإيبري و المد العثماني: أمام الأخطار الصليبية الإيبرية على السواحل المغاربية، اتجهت أنظار عرب المغرب إلى عروج وأخيه خير الدين لإنقاذهما من النير الأجنبي وكانت بجاية في طليعة المدن التي استنجدت بالأخوين لتحريرهما من الاسبان وقد لبى الأخوان الدعوة لكنهما أخفقا في تحريرها بسبب مناعة حصونها لذلك أحس الأخوان بضرورة البحث عن قاعدة جديدة لنشاطها فوقع اختيارهما على ميناء جيجل الجزائري الذي يقع على بعد 102 كم غرب بجاية وقد تمكن الأخوان من تحريره وجعله مركزا لنشاطهما .

اتصل عروج بعد تحرير جيجل بالسلطان سليم الأول وأرسل إليه جزءا من الغنائم وشرح له طبيعة المخاطر التي يتعرض لها المغرب العربي وبين له حاجته إلى الدعم والتاييد ، وقد اغتبط السلطان سليم بهذا العرض وبعث إلى عروج اسطولا مؤلفا من 14 سفينة مع إمدادات من الرجال والسلاح والذخيرة ويبدو ان الدعم الذي تلقاه عروج من العثمانيين زاد من إمكاناته وطموحه ، إذ حاول احتلال بجاية ثانية في اب 1514 واستعان لذلك الغر بقوة من قبيلة كتامة قوامها عشرون ألف مقال إلا أنه فشل في ذلك واضطر إلى رفع الحصار الذي يستمر ثلاثة أشهر وعاد إلى مقره في جيجل ، ويمكن عزو هذا الإخفاق إلى عوامل عدة منها رداءة الأحوال الجوية ووصول قوة إسبانية لنجدة حامية بجاية ، إضافة إلى حلول البذار وما ترتب عليه من تخلي رجال القبائل عن القتال وعودتهم

[71]- خميدي ،المرجع السابق.

إلى حقولهم .

قررعروج توجيه جهوده نحو تحرير ميناء الجزائر بعد ان تسلم بضعة رسائل استغاثة من بعض الاهالي ، ومما تضمنته رسالة أحدهم وهو الشيخ ابو العباس بن احمد قاضي الزواوي ، وهو عالم وفقيه جزائري معروف بموقفه المعادي للاسبان قوله : إن بلادنا بقيت لك أو لأخيك أو للذئب . وقد جاء قرار عروج هذا اثر دراسة مستفيضة لأوضاع الجزائر إذ أدرك أن نجاحه في احتلال الجزائر وهي التي تتمتع بموقع ممتاز على البحر في منتصف المسافة بين بجاية ووهران ، سيجعله قادرا على إنقاذ بجاية وسواها من المدن الساحلية التي كانت ترزح تحت النير الاسباني ، كما عن السيطرة على الميناء ستكون بمثابة خطوة على طريق تأسيس حكم جديد في الجزائر تكون السلطة فيه له ولأخيه ، وعليه اتصل عروج بأخيه خير الدين وكان آنذاك في تونس وطلب منه تجنيد المتطوعين الراغبين في القتال ضد الاسبان والتوجه بهم بحرا للمساهمة في هذه الحملة وخرج خير الدين على رأس قوة بحرية مؤلفة من 21 سفينة على متنها 1500 مقاتل ، أما عروج فقد غادر جيجل ومعه قوية برية ومعه قوية برية قوامها 800 مقاتل ، وأخذ في طريقه إلى ميناء الجزائر يجند القبائل الجزائرية حتى بلغ عدد أفرادها 5000 وبعد ان نجح الاخوانه في تحطيم المحاولات الدفاعية التي قامت بها الحامية الاسبانية وتم لهما تحرير ميناء الجزائر في أواسط سنة 1516 اتجها نحو تلمسان وتناس والمدية وميليانة في جنوب مدينة الجزائر لتحريرها من السيطرة الأجنبية .

حاول عروج إنشاء دولة في الجزائر قادرة على تحقيق وحدة المغرب العربي الا ان هذه البداية الناجحة فشلت حين أدرك الاسبان أن قوات عروج أصبحت تشكل تهديدا خطيرا لوجودهم الاستعماري في المنطقة كله ، لذلك فقد أصدر الملك شارك الخامس أوامره إلى حاكم وهران الاسباني بالتقدم نحو تلمسان وإجلاء قوات عروج عنها ، وقد نجحت القوة الاسبانية في محاصرة عروج في مكان قع قرب وادي الملح بين وهران وتلمسان وقتله وتشتيت أتباعه سنة 1518 .

أدار خير الدين الصراع ضد المستعمرين الاسبان بعد مقتل أخيه عروج ، وأدرك منذ البداية ضعف موقفه السياسي وضآلة إمكانياته العسكرية لذلك أرسل بعثة إلى استانبول ترأسها أبو العباس بن احمد بن قاضي الزواوي يطلب فيها المساعدة من العثمانيين ، على امل أن يؤدي ذلك إلى تقوية مركزه ومن ثم تمكينه من الوقوف بوجه الاسبان ، وقد رحب السلطان سليم ومنح خير الدين لقب باشا ورتبة بكلر بكي الجزائر وأرسل إليه في سنة 1518 قوة من الانكشارية قوامها ستة آلاف رجل بمدافعهم وعتادهم الحربي تكون منهم " الأوجاق " أي قوة الجزائر الحربية وسمح له بتجنيد المتطوعين من الأناضول .

وقد نجح خير الدين في احتلال قلعة البينون يوم 27 أيار سنة 1529 بعد سلسلة من المعارك الدامية ضد المحتلين الأسبان وبذلك خلّص مدينة الجزائر من نيران المدفعية الاسبانية التي كانت تسلط عليها من هذه القلعة التي لم تكن تبعد عن المدينة أكثر من 300 متر ، إن احتلال قلعة البينون ثبت وضمن أمن مدينة الجزائر ، ويعد ذلك في الحقيقة بداية السيطرة العثمانية على المغرب الإسلامي .

ب–أسباب عدم خضوع المغرب للعثمنة دون باقي دول المغرب الإسلامي:من بينها نذكر الأتي:

1- عدم إهتمام الدولة العثمانية في بداية توسعها بالغرب الاسلامى لبعده جغرافيا عن إستانبول ووعورة طبيعته.
2-مطالبة حكام الجزائر الإخوة بربرسة الباب العالي بانقاد بلادهما من الغزو الايبيرى مقابل الدخول تحت نفوذها .
3-رغبة الدولة العثمانية في ضم المنطقة لنفوذها طوعية ودون حرب ،لذا فالدولة العثمانية صرفت نظرها نهائيا عن المغرب ,وكفاها خضوعه الاسمي لنفودها.
4-التخوف العثماني من إمكانية قيام تحالف سعدي – اسبانى مما جعل العثمانيين يصرفون نظرهم لغزو المغرب.
5- تراجع الدولة العثمانية بعد فشلها في حملة مالطا (حملة ليبانتو سنة 1568م) صاحبه تراجع في مخططاتها التوسعية غرب البحر الابيض المتوسط وعزوفها عن مجابهة الاوروبيين ، واضطرارها إلى مهادنة الاسبان.
6- أنّ السعديين والعلويين الذين تزامن حكمهم مع حكم العثمانيين ، أعتبروا أنفسهم أحق بالخلافة من العثمانيين ،لأنّ العثمانيين أدنى مرتبة دينية، وهم مجرد معتنقين جدد للدين الإسلامي ، في حين أنّ السعديين والعلويين من سلالة الرسول، وينحدرون من الأشراف.
7-ظهور شخصية قوية حاكمة في المغرب وتعلق الأمر بالمنصور السعدي الذي سعى للمحافظة على استقلال مراكش وعدم الخضوع للسيطرة العثماني .

ث-أثار الحكم العثماني على المغرب الإسلامي(الجزائر):

1-صد الحملات الإستعمارية الإيبيرية على المغرب الإسلامي وحرروا ما يرو عن 20مدينة ساحلية في تونس وليبياوالجزائر ،في حين بقيت بعض المدن مثل سبتة ومليلة محتلتين إلى يومنا هذا بسبب رغبة السعديين والعلويين.

2-عدم تحول بلدان ليبيا وتونس والجزائر إلى دول مسيحية ،خاصة عهدي السلطانين سليم الأول وسليمان القانوني، فمثلا ليبيا التي إحتلها فرسان القديس يوحنا لمدة قاربت 50 سنة وقد استعان سكان طرابلس الغرب بالعثمانيين لطردهم.

3 -بقاء إيالة الجزائر مسيطرة على البحر الأبيض المتوسط الذي كان يلقب ببحيرة الجزائر، إلى أن سقط الأسطول الجزائري والأسطول العثماني في معركة نافارين سنة 1827 أمام الأساطيل الأوروبية المتحالفة.

4-تشييد قلاع وقصور وحصون وصروح عمرانية في العديد من المدن ، وخاصة السَّاحلية منها، ونظم حكم وبناء أساطيل بحرية وقوات برية متفاوتة الفوة والأهمية.

5 -ظهور بعض المحاولات لتوحيد المغرب الإسلامي خاصة من قبل الجزائر العثمانية ،إلا أنّ النزعة الانفصالية للمغرب وتونس حالا دون ذلك.

المحاضرة (06)المغرب الأوسط(الجزائر) بقدوم الإخوة بربروسة .

أ–ظهور المد العثماني في الحوض الغربي للمتوسط :في الوقت الذي اشتدت فيه الهجمات الإسبانية على سواحل المغرب الإسلامي ؛ بهدف إلى احتلال المنطقة . وبسبب ضعف المقاومة المحلية ، وغياب السلطة المحلية. كان ضروريا من ظهور قوة جديدة تقود عمليات التحرير ضد الاحتلال. فظهر الإخوة بربروس ، الذين سيلعبون دورا هاما في توجيه العلاقات بين بلدان المغرب الإسلامي ، وإسبانيا في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

انتقل نشاط عروج وأخويه في أوائل القرن 16م إلى الحوض الغربي للمتوسط. واستقر بتونس في1504م ،عهد السلطان أبي عبد الله محمد بن الحسن الحفصي ،حيث أتى عروج بأسطوله إلى جزيرة جربة التونسية ، وأهدى السلطان الحفصي تحف وجواري مما غنم ، فوقع ذلك من السلطان أبي عبد الله موقعا حسنا ، واستأذنه في الإقامة بأسطوله في بعض مراسي المملكة . بشرط أن يدفع له خمس ما يغنمه ، فرضي عروج بذلك ، وسافر إلى جزيرة جربة[72] .

التقى خير الدين بأخيه عروج في جزيرة جربة ، بعد أن جاءها خير الدين ، واستقر الأخوان في تونس ، بعد أن قدّما هدية إلى سلطانها أبي عبد الله . وواصل الإخوة نشاطهم البحري ، واكتسبوا شهرة كبيرة في حوض البحر الأبيض الدتوسط ؛ بفضل الشجاعة التي كانوا يتميزون بها، وتمكن الإخوة من الاستيلاء على ثلاث سفن بغنائمها ، بعد رحلة دامت عشرين يوما ، ثم عادوا بها إلى تونس ، ووزعوا جزءا منها على فقراء المدينة. واستمر الإخوة عروج وخير الدين في نشاطهم البحري في حوض البحر الدتوسط ؛ ضد السواحل الإسبانية ، والمسيحية خلال سنتي 1510"–1511م" ، ووصلوا بالقرب من السواحل الإيطالية ، حتى ذاع صيتهم في تونس ، ولدى المسلمين ، وفي البلاد المسيحية الأوربية ، وأطلق عليهم الأوربيون لقب (بربروس) .

قام الإخوة بربروس بمحاولتين لتحرير بجاية خلال 1512–1514م ،ثم انتقلوا إلى جيجل ،وبعدها إلى الجزائر ،وكان لهم دور كبير في تحرير الدوانئ الجزائرية ،ونتج عن ذلك ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية سنة 1518م ،والتي سيكون لهذا دور كبير في ضم طرابلس 1551م ،وتونس 1574م للدولة العثمانية.

ب–إنضمام الجزائر للدولة العثمانية : تعتبر الجزائر أول ولاية عثمانية في بلاد المغرب ،وقد تم ضمها للممتلكات العثمانية بعد استنجاد سكانها بالعثمانيين في سنة 1518م ،فقد توجه أعيان مدينة الجزائر بعد أن أشار عليهم خير الدين ،واستنجدوا بالسلطان العثماني سليم الأول ،وطلبوا منو إلحاق بلادهم وربط مصيرها بالدولة العثمانية ،وذلك بسبب التهديدات الإسبانية لموانئ الجزائر ،وضعف سلطة بني زيان حكام تلمسان ،وتحالفهم مع الإسبان ،فسارع السلطان إلى قبول مطلبهم ،وأرسل للجزائر قوة من سلاح المدفعية ،مع ألفين من الجنود الانكشارية ،كما سمح بالتطوع لرعاياه من المسلمين ،والانخراط في صفوف المجاهدين المتوجهين إلى الجزائر ،ونصب على رأسها خير

[72] -الشافعي ،المرجع السابق.

الدين برتبة بيلر باي وأصبحت الجزائر إيالة عثمانية ربطت بالباب العالي .وشرع العثمانيون في تحرير موانئها ،ونصبوا على رأسها بيلرباي وكان خير الدين بربروس أول حاكم للإيالة[73].

إنّ أوضاع مدينة الجزائر المزرية وتضرع سكان الجزائر وإلحاحهم عليه بالبقاء أثرت في نفسية خير الدين لذلك قرر البقاء بها ، إلا أن حالة الضعف التي كان بها جعلته يفكر في قوة يحتمي بها و التي تمثلت في الدولة العثمانية ، إذ كان من الطبيعي جدا لمدينة إسلامية مهددة من قبل المسيحيين أن تضع نفسها تحت حماية الخلافة الإسلامية ، وقبِلَ أهالي مدينة الجزائر باقتراح خير الدين المتمثل في إلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية ، وهذا أمرهم بكتابة كتاب على لسانهم للسلطان العثماني يخبرونه بصرف طاعتهم إليه ،كما كتب هو الآخر كتابا للسلطان العثماني يتضمن نفس العرض ، وأرسل وفد يرأسه " الحاج حسين " إلى حضرة السلطان العثماني " سليم الأول " ووجه صحبتهم هدية عظيمة[74]. فقبل السلطان العثماني الاقتراح الذي وجهه خير الدين إليه وبذلك دخلت الجزائر تحت لواء الخلافة العثمانية عام 1518م ، وكان من نتائج ذلك أن قسمت الجزائر إداريا إلى أربعة أقاليم و هي :

-دار السلطان : تضم الجزائر و ضواحيها تخضع مباشرة لحكم الداي.

-بايلك التيطري : عاصمته المدية.

-بايلك الشرق : عاصمته قسنطينة.

-بايلك الغرب : عاصمته مازونة ثم انتقلت إلى وهران بعد تحريرها عام 1792م.

أما من ناحية للتسيير التوجيه فقد عرفت الجزائر في العهد العثماني مجلسان هما :

-مجلس الشورى : وكان يتألف من أربعة أعضاء وهم :

-وكيل الخراج : وهو المتصرف في شؤون البلاد المدنية والعسكرية

-خوجة الخيل : وهو بمثابة وزير الحربية، وله التصرف في أملاك الدولة

-الخز ندار: وهو وزير المالية

-آغا العرب :وهو القائد العام للقوات البرية

-مجلس الديوان: وكان يتألف من عدة أعضاء وهم :

-الخليفة : وهو نائب رئيس الدولة

-الدفتر دار:وهو رئيس ديوان الإنشاء أي كاتب الدولة

-الباش سيار : وهو مدير البريد، و السيار هو حامل الرسائل والأوامر ليوصلها إلى أصحابها ،ولم يكن البريد للعامة بل كان لمصالح الدولة فقط.

-الترجمان:

-شاوش كرسي : وهو الواسطة بين الداي وكبار الموظفين في الدولة

---

[73] -الشافعي ،المرجع السابق.

[74] -حمدادوش، المرجع السابق.

-بيت مالجي: وهو مكلف بمواريث من يموت وليس له وارث .

وما تجدر الإشارة إليه أن الدواوين أواخر العهد العثماني فقدت أهميتها وصلاحياتها وقد وصف القنصل الأمريكي في الجزائر شالر ذالك قائلا:" كان الديوان في الماضي جهاز الدولة الحقيقي فكان يعقد جلساته بانتضام ، ويتصرف في الأموال ويدعي الحق قي مناقشة جميع الإجراءات الحكومية ويتخذ قرارات بشأنها لكنه الآن أصبح مجرد شبح لا حول ولا قوة له ". وعليه فإن سكان مدينة الجزائر و بجاية وتلمسان هم الذين طلبوا مساعدة خير الدين للتخلص من الخطر الإسباني ،وذلك لأنّهم أدركوا عدم قدرتهم على مواجهة الجيوش الإسبانية المسيحية ،وطلبوا من السلطان العثماني الانضواء تحت لواء الخلافة العثمانية[75].

[75]- حمدادوش، المرجع السابق.

المحاضرة (07)الدولة الجزائرية ومراحل الحكم العثماني بالجزائر.

تمهيد: قد مر نظام الحكم في الجزائر بأربعة مراحل ،اختلفت عن بعضها البعض ،وشهدت خلالها الجزائر أحداث وتطورات متنوعة ،كانت بداية تلك الفترّة في سنة 1518م بعهد خير الدين بربروس ،ونهايتها في سنة 1830م مع نهاية عهد حسين داي ويمكن توصيح المراحل كما يلي:

1-مرحلة البايلربايات (1518-1587):يعتبر خير الدين أول من حمل لقب بايلرباي في الجزائر، ينظر إلى هذا العصر على أنه أزهى عصور الحكم العثماني في الجزائر ،حيث ازدهرت البلاد في هذه الفترة من جميع النواحي التعليمية والاقتصادية والعمرانية وذالك بفضل التعاون بين فئة رياس البحر في القيادة وأبناء البلاد.

كما كان لمهاجري الأندلس دورا كبيرا في ازدهار البلاد ورقي المدينة ،انعكس على جميع مناحي الحياة في خاصة صناعة السفن والعمارة التي لازالت شاهدة على تلك الحقبة من الزمن إلى وقتنا الحاضر . بالإضافة إلى دورهم في الاقتصاد والتجارة ، ويمكن أن نلخص أهم أحداث هذه المرحلة:

-إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية , وغدا خير الدين يلقب بالبايلرباي حاكما للجزائر، أصبحت الجزائر إحدى الولايات العثمانية مما أكسبها قوة في الداخل والخارج .

-يأتي قرار تعين الحاكم في الجزائر من طرف السلطان العثماني،كما أن فترة حكم كما أن فترة حكم البايلربايات لم تكن محددة[76].

-إستطاع البايلربايات أن يحققوا الوحدة الإقليمية والسياسية للدولة ،كما استطاعوا تحرير برج الفنار1529من الإسبان، وتحرير بجاية عام1555م،وإنهاء الوجود الإسباني في تونس 1574م .

وامتد نفوذ البايلربايات من تونس إلى طرابلس.

وقد عرفت الجزائر قي هذه الفترة تأسيس نواة البحرية الجزائرية والتي استطاعت التصدي للغارات الصليبية المتتالية والتي أصبحت الجزائر هدفا لها بدأت هذه الدرحلة باعتلاء خير الدين ،الذي تم في عهده ربط الجزائر رسميا بالدولة العثمانية ،وتعيينه بيلرباي عليها في سنة 1518م .البيلربايات أو البكلربكوات تعتبر هذه المرحلة من أهم مراحل العهد العثماني في الجزائر ،وتعني الكلمة أمير الأمراء ،وهو من المناصب الرفيعة في الدولة العثمانية .ومنح السلطان سليم الأول هذا اللقب لخير الدين ؛دلالة على امتيازه ولأهمية ولايته التي يحكمها كنائب للسلطان ،فقد اعتبرت الجزائر قاعدة للحكم العثماني ،وللنشاط العثماني في شمال أفريقية ،وفي الحوض الغربي للمتوسط ،وأشرفت على إخضاع باقي البلدان المغاربية ،وظلت مسؤولة عن تسيير شؤونهم حتى نهاية عصر البيلربايات.

وقد تعاقب على حكم الجزائر خلال عهد البيلربايات سبعة أتراك وسبعة من الأعلاج و المهتدين أو المرتدين عن المسيحية إلى الإسلام ،واثنين من الكراغلة وعربيين من خارج بلاد المغرب .ومن أبرز الحكام

[76]- حمدادوش، المرجع السابق.

خلال هذا العهد :خير الدين بربروس (1518م ـ 1533م) ،وحسن أغا (1533م ـ 1544م) من سردينيا ،وحسن باشا بن خير الدين (1544م ـ 1552م) وهو كرغلي ،وصالح رايس (1552ـ 1556م) وهو من الأتراك ،وحسن قورصو (1556م – 1557م) ،وعلج علي (1568م – 1571م) ،وحسن فنزيانو (1583م -1587م) ؛وهؤلاء الثلاثة كلهم من الأعلاج ،الذين وصلوا إلى أعلى المراتب بعد إسلامهم .

يعتبر خير الدين بربروس من أهم البيلربايات ،نظرا للدور الذي قام به من أجل تثبيت أسس الحكم العثماني في الجزائر ،وفي بلاد المغرب الإسلامي كله. .

2-مرحلة الباشاوات(1587-1659): أصبح خطر انفصال الجزائر عن الدولة العثمانية هاجسا للسلاطين العثمانيين ، نظرا لتزايد نفوذ البايلربايات والذين أصبحوا يغطون على السلطان ذاته،مما دعا إلى ضرورة تقليص نفوذ هؤلاء الحكام ، وتعويضهم بالباشوات والذين حددت فترة حكم كل واحد منهم بثلاث سنوات .

إن هذه الفترة القصيرة خلقة مشاكل كبيرة حيث انصرف كل باشا إلى السلب والنهب وجمع الثروة ،وهو ما دفع باليولداش بالثورة على الباشوات ويضعوا حدا لنضام الحكم.

و قد تميزت هذه المرحلة بما يلي :

الفصل بين الجزائر وتونس وطرابلس حيث أصبح ولايات منفصلة،وتعيين باشا على كل وأدت منها بعد أن كان يحكمها حاكم واحد

بروز قوة الرياس (رجال البحرية الجزائرية) إلى درجة أن الدول الأوربية تخشى الجزائر وتسعى إلى أقامة علاقات صداقة وتعاون معها

التصادم بين جنود البحرية(الرياس)وبين جنود القوات البرية (اليولداش) بسب الغنائم التي كان يحصل عليها الرياس من جراء غاراتهم على الأساطيل الأوربية المسحية.

إن ها النظام لم يدم طويلا بسبب انتشار الرشوة والفساد،حيث أصبحت المناصب تباع وتشترى ولا تراعى الكفاءة في تعين الحكام ،وقد استغل الانكشارية تلك الظروف،وعينوا وأحدا منهم حاكما سمي الآغا و منه بدأت مرحلة جديدة عرفت بمر حلة الآغاوات .

3-مرحلة الآغاوات: تعتبر هذه المرحلة من أقصر المراحل لإقدام قادة الجيش البري على خلع الباشا،وتعويض هذا القائد بقائد أخر من فئتهم أطلق عليه اسم الآغا ،وقد جاء بمثابة انقلاب على الباشا المعين من الباب العالي و المدعوم من طرف طبقة الرياس و تقرر بان يكون الحكم ديمقراطيا أي أن السلطة التنفيذية تكون بيد الآغا أما السلطة التشريعية تكون بيد الديوان ، وبذلك أصبحت طائفة الرياس تحتل دورا ثانويا .

وقد تميزت فترة حكم الآغاوات بما يلي:

-اضمحلال السلطان العثماني وغياب السيادة العثمانية في الجزائر، والتي كان من نتائجها انقطاع المساعدات العثمانية على الجزائر .

-مدة حكم الأغا لا تتجاوز السنتين ومنهم من حكم أقل من شهرين، ويخلفه في مهامه أكثر القادة العسكريين

أقدمية، كما أن هذه المدة لم تكن كافية للأغا فكان كثيرا ما يرفض تسليم المنصب لمن يليه في الأقدمية .

-استفحال الصراعات المحلية بين ضباط الجيش البري وضباط الجيش البحري وتذمر أبناء الشعب من الفساد وانتشارا لفوضى وكثرة الاغتيالات في صفوف الآغاوات[77].

-محاولة الأوجاق تحسين العلاقات مع فرنسا ولكن هذه الأخيرة واصلت إعتداءاتها على السفن والمراكب الجزائرية في البحر ودخل معها قراصنة الانجليز والأسبان والهولنديين بعد وفاة علج علي آخر بيلربايات الجزائر ،قرر السلطان العثماني مراد الثالث إدماج الإيالات الإفريقية (الجزائر ،تونس ،طرابلس) ،في الإمبراطورية العثمانية ؛ليحد بذلك من استقلالها ،ويتمكن من مراقبتها

.وبذلك تم وضع نظام الباشوات بدل البيلربايات ؛حيث يعين باشا لمدة ثلاث سنوات ،كان أولهم دالي أحمد باشا ،وأخرهم إبراهيم باشا .وقد كان الباشاوات يديرون شؤون البلاد بمعاونة الديوان المؤلف من رؤساء الجند ،ولكي يبقى الباشا في منصبه كان عليه أن يساير الديوان ويقر قراراته . لقد كان الباشا يعين لمدة ثلاث سنوات ،ومن النادر أن يكمل مدته ،وقد تعاقب على حكم الجزائر ثلاثة وأربعون باشا . يعتبر عهد الأغوات من أقصر فترات الحكم العثماني في الجزائر ،وقد تميزت هذه المرحلة بعدم الاستقرار السياسي في السلطة ،نظرا للاضطرابات والاغتيالات ،التي تعرض لها حكام الإيالة الجزائرية في هذه الفترة .وما يؤكد عدم استقرار هذه المرحلة هو تعاقب أربعة أغاوات فقط وهم :خليل أغا ،ورمضان أغا ،وشعبان أغا ،وأخيرا علي أغا،وكلهم قتلوا في هذه الفتة الوجيزة. لم تستمر هذه المرحلة أكثر من اثنا عشرة سنة كانت كلها سنوات فوضى مكنت طائفة الرياس من تنظيم انقلاب قضى على حكم الأغوات وعوض بنظام الدايات .

4-مرحلة الدايات(1671-1830):استفاد حكام الجزائر من تجارب الحكم السابقة في هذا البلد , حيث حاولوا ترضية السلطان العثماني , وتقوية مركز الحاكم (الداي) , وذلك بتعيينه في منصب مدى الحياة , بناءا على اقتراح من الديوان , وبتعيين رسمي من طرف السلطان العثماني , وبذلك أصبحت الجزائر دولة مستقلة عن اسطنبول , وخاصة أن الداي أصبح ينتخب من الباب العالي . وكان السلطان العثماني يعين إلى جانب الداي حاكما ثانيا يلقب بالباشا , وبقي ذلك إلى غاية 1711م حيث تمكن الداي من أن يجمع بين منصب الداي ولقب الباشا , بعد أم أبعد الباشا نهائيا من البلاد ,كما تجدر الإشارة إلى أن الدايات كانوا يعينون من بين ثلاثة موظفين سامين في الدولة وهم : الخزناجي و الآغا و خوجة الخيل, كما تميزت هذه المرحلة بتحول جنود البحرية من مناضلين ومقاتلين ضد القوات المسيحية المناهضة للإسلام إلى رجال يبحثون عن الأموال والغنائم لأنفسهم وللحكام , ولم يهتموا بتطوير البلاد من الداخل .

لقي العديد من الحكام مصرعهم على يد المجموعات المعادية لهم حيث أصبحت قضية إغتيال المسؤولين عملية عادية[78]وعليه. تسلم الدايات السلطة في الجزائر منذ سنة 1671م ،وقد كان الدايات خلال الفترة (1671-1689م)

[77] - حمدادوش، المرجع السابق.

[78] - حمدادوش، المرجع السابق.

ينتخبون من طائفة رياس البحر ،إلى غاية سنة 1689م صار الدايات يختارون من الانكشارية ،بينما يحتفظ السلطان العثماني بحق تأكيد الاختيار بتوجيه القفطان والسيف للداي الجديد ،رمزا لتزويده بالسلطة .وقد تعاقب على حكم الجزائر ثمانية وعشرون دايا ،كان أولهم الحاج مُحَمَّد باشا (1671-1682م) ،وآخرهم الداي حسين باشا (1818-1830م).

أما بالنسبة لعلاقة الجزائر بالدولة العثمانية في الفترة الأخيرة قد تميزت بالضعف , إذ أن الدايات كانوا يرفضون تدخلات الباب العالي في شؤونهم .

وفي الأخير فإن قدوم العثمانيين للجزائر كان إيجابيا بالنسبة للجزائر , إذ أنهم تصدوا للغارات الصليبية , كما عملوا على تأسيس كيان سياسي شكل فيما بعد ملامح الدولة الجزائرية , وكانوا سببا في تأخير احتلالها زهاء ثلاثة قرون , إلا أن الحكم العثماني في الجزائر لم يخل من السلبيات خاصة في العهود الأخيرة منه.

محاضرة(08)أوجاق الجزائر

-تمهيد:عرفت الجزائر أول تدفق للإنكشارية في سنة 927 هـ/ 1520 م، إثرإرسال "خير الدين بربروس"، بموافقة من أهالي الجزائر، طلب الانضمام إلى الدولة العثمانية، حيث أرسل السلطان سليم الأول (1512-1520 م) إلى الجزائر ألفين (2000) من الإنكشارية و 4000 من المتطوعين الأتراك، لتدعيم قوة "خير الدين"، المؤلفة آنذاك، من 5000 جندي، لتثبيت حكمه من جهة، وحماية الجزائر من الهجمات الإسبانية من جهة أخرى، ومنذ ذلك التاريخ أصبح للجزائر جيش إنكشاري خاص، عرف ب"أوجاق الجزائر"، بجميع هياكله ومؤسساته وكان استقراره بمدينة الجزائر، حيث بنيت له ثكنات للإيواء ونظمت قوانينه وحددت أجوره.

أ-**عملية التجنيد:** خول السلطان سليمان القانوني (1520-1566 م) ل"خير الدين بربروس"، حق التجنيد من مناطق الأناضول، ابتداء من سنة 1525 م، ومنذ ذلك التاريخ أصبح للجزائر، وكالات خاصة منها خان إزمير يقيم فيه الموظفون المشرفون على جمع المتطوعين وإرسالهم إلى الجزائر وكانوا يعرفون ب"الدائيات"، يرأسهم "باش دائي"، كما كان لها موكل بميناء إزمير بالأناضول، يسجل المتطوعين من شباب المنطقة ويقدم لهم كل المغريات المادية والأدبية للالتحاق بالعمل العسكري في إيالة الجزائر،"جزائر الغرب" أو "دار الجهاد"، وعلى رأس هذه المغريات جمع الثروات والوصول إلى المناصب العليا في الدولة.

وكان التجنيد للعمل بالجزائر يتم بطلب من حكامها وبترخيص من الباب العالي، وكان باستطاعة السلطان إيقاف التجنيد إذا أراد الضغط على ولاة الجزائر، خاصة فيما يخص السياسة الخارجية للأوجاق، لكن ونظرا لحاجة الدولة العثمانية لمزيد من الجند لحماية ولاياتها، وتضاءل دور عملية " الدوشرمة " في تغطية هذه الاحتياجات، أعطى السلطان العثماني لإيالة الجزائر الحق في تنظيم عملية التجنيد بين مسلمي الأقاليم العثمانية، وهو ما عبرت عنه رسالة السلطان محمود الثاني، بتاريخ 1231 هـ/ 1815 م، إلى عمر باشا، داي الجزائر، يسمح له فيها باختيار الجند التركي المتطوع من ميناء "إزمير"، وفي نفس الموضوع وصلت رسالة إلى حسين باشا بتاريخ 1239 هـ/ 1823 م، للسماح له بالتجنيد مجددا من الأراضي العثمانية، بعد توقف هذه العملية بسبب الخلاف الذي وقع بين الإيالة والدولة البريطانية، وقد سمح له بذلك بعد تطبيق الداي للصلح مع بريطانيا نزولا عند رغبة السلطان[79].

لهذه الأسباب كان معظم إنكشارية الجزائر ينتمون إلى أصول مسلمة، وكان أغلبهم من فقراء الأناضول والشبان المغامرين من أجل الثروة والجاه، وبعض المتطوعين للجهاد، ويعد العلوج les renégats المسيحيون الذين اعتنقوا الإسلام بغرض الدخول في نظام الإنكشارية والفوز بامتيازاته، من بين العناصر التي انضمت إلى إنكشارية

[79]-جميلة معاشي،الانكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث أجامعة منتوري قسنطينة،2008،ص 02-12

الجزائر، وأصبحوا، حسب تعريف "هايدو"، "أتراكا بالوظيفة"، وذلك عكس إنكشارية الأناضول الذين تكونوا عن طريق نظام "الدفشرمة".

كان التجنيد في البداية يتم بين الشجعان والمستقيمين أخلاقيا، ثم أصبح يجمع من بين المشردين والمجرمين الفارين من العدالة، وهو ما اتفق حوله معظم المؤرخين للعهد العثماني بالجزائر ومنهم حمدان بن عثمان خوجة، الذي أعاد سبب انحطاط حكومة الجزائر إلى هذه النوعية من المجندين، قائلا:" كان من أسباب انحطاطها إرسال مندوبين إلى إزمير يجمعون الأجناد، وبدلا من أن يتبع هؤلاء الطريقة القديمة التي لم تكن تسمح بأن يجند من الميليشيا إلا الرجال النزهاء الذين لهم جاه ومكانة فإنهم كانوا يفتحون أبواب الميليشيا لأي كان حتى لأناس كانوا قد أدبوا أو أدينوا وكان يوجد بين المجندين يهود ويونانيين ختنوا أنفسهم"، ويبدو أن الباب العالي نفسه كان يشجع على ذلك لإبعاد العناصر المنحرفة عن أوطانهم محافظة على الأمن، وهو ما عبرت عنه بوضوح عريضة، بتاريخ 1219 هـ (1804 م)، تحث على إرسال "أشقياء يتراوح عددهم بين 40 و 50 شقي"، تسببوا في أحداث شغب بقرية دومنجي بجزيرة قبرص، للجهاد بإيالة الجزائر، ومما جاء بالعريضة: "إن الشيء الذي نلاحظه بشأن هؤلاء الأشقياء الذين استحقوا أشد الجزاء من الدولة العلية لارتكابهم أعمالا تبرر ذلك، أن يبعد هؤلاء من أوطانهم وأهليهم ويرسلوا إلى أوجاق جزائر الغرب المنصورة التابعة للحضرة الخاقانية من أجل الجهاد في سبيل الدين والدولة ومن أجل إصلاح النفس وتهذيبها أيضا في تلك الديار المجاهدة مع السفينة التي وردت إلى الجزيرة بأمر من قبطان البحار لجلب الجنود إلى الجزائر"[80].

وكانت عملية التجنيد، في بداية الحكم العثماني للجزائر، تتم تحت إشراف ونفقة السلطان العثماني، إذ أصدر السلطان سليم الأول (1512-1520 م) فرمانا يقضي بمجانية نقل المجندين إلى الجزائر التي أصبحت إيالة Eyalet (إقليم حدود) عثمانية، وضمان انخراطهم في الأوجاق بأجور منتظمة، كما أمر بإصدار جواز مرور السفن الجزائرية بالموانئ العثمانية باعتبارها وحدات في الأسطول العثماني، إلا أن ذلك الوضع لم يدم، إذ أجبرت حكومة الجزائر، بعد استقلالها عن الباب العالي، سنة 1671 م، على تحمل جميع نفقات التجنيد.

ب-**ثكنات الإنكشارية بمدينة الجزائر**:عند وصول المجند إلى مدينة الجزائر، مقر إقامة جميع المجندين، يستقبل في ثكنة خاصة بالمجندين الجدد بعد أن يسجل اسمه واسم أبيه وموطنه الأصلي وحرفته القديمة في دفاتر خاصة بالإنكشارية (دفتر يكيجيري)، كما يسجل ما له من صفات خاصة مثل " صاري " ومعناها الأشقر، و" أوزون" ومعناها الطويل، وغيرها من الألقاب التي تشير عادة إلى العاهات التي يحملها المجند مثل :"قلا قسيس " ومعناها مبتور الأذن و"طوبال Topal وتعني الأعرج و"قور " kor أي الأعور، و"نقسيس" ومعناها بوصبع، وغيرها من الألقاب التي كان يعتز بها الإنكشاري باعتبارها علامة من علامات بطولاته في المعارك، وبعد التسجيل يعطى

[80]-معاشي،المرجع السابق.

للإنكشاري رقم خاص يشير إلى الأوجاق الذي أصبح ينتمي إليه، وترسم على ذراعه علامة تدل على انتمائه إلى الأوجاق ولا يبدأ العمل إلا في الربيع الموالي.

ويقسم المجندون إلى "أورطات"، جمع " أورطة" وتعني الوسط، وتعرف أيضا ب"أوجاق"، وأحيانا باسم "جماعت"، وهو ما جاء في سجلات أجور الإنكشارية ، وهي وحدة عسكرية، يختلف عدد أفرادها من ظرف إلى آخر ومن مكان إلى آخر، ويتراوح بين 500 و 1000 جندي أو أقل بالنسبة للنظام بالقسطنطينية، أما بالجزائر فضمت، حسب سجلات أجور الإنكشارية ، ما بين 11 و 100 رجلا، وإن سجلت ثلاث حالات نادرة وصل عدد أفراد الأوجاق فيها إلى 110 و 123 و 238، وبلغ عدد الأورطات في الجزائر، حسب نفس المصدر، 424 أورطة أو أوجاق ، مرقمة من 1 إلى 420 بسبب تكرار بعض الأعداد في السجلات و سقوط البعض منها.

قسمت أورطات الإنكشارية إلى عدد من الصفرات، جمع صفرة، وتعني المائدة التي تضم 16 فردا منهم "وكيل الخرج"، المقتصد، و"الآتشي" (الطباخ). وزعت هذه الأورطات، في مدينة الجزائر، حسب الدراسة التي نشرها كل من A.Berbregger و A.Devoulx بالمجلة الإفريقية على ثمان ثكنات، مكونة من عدة طوابق و قادرة على استيعاب حوالي 12000 فرد في ظروف جد حسنة،عرفت ب"إنيجيري أوده لرى" (دار الإنجشايرية) أو "قشلة " و يعود بناءها، حسب L.deTassy، إلى سنة 1650 م، إلا أن A.Berbregger فند ذلك وأعادها إلى سنة 955 هـ/ 1548 م، وذلك اعتمادا على كتابة عثر عليها في ثكنة باب عزون، التي حولت بعد الإحتلال الفرنسي إلى مستشفى عسكري ثم إلى ثانوية.

والواقع أن تاريخ بناء هذه الثكنات يختلف من ثكنة إلى أخري ، وباعتبار أن الحكم العثماني كان عسكريا فإن بناءها يعود حتما إلى النصف الأول من القرن 16 م، فترة استقرار الحكم العثماني بالجزائر، فبالإضافة إلى بناء خير الدين للعديد من الأبراج حول مدينة الجزائر، ومنها القصبة لحماية المدينة من الهجومات الإسبانية، تم بناء مساكن لإيواء المجندين الجدد[81].

وكانت هذه الثكنات خاصة بالعزاب من الإنكشارية دون المتزوجين وهي:

-"دار الإنجشايرية بالخراطين "وهي أقدم الثكنات بالجزائر، أسست من طرف خير الدين، وتتألف من بنايتين متجاورتين.

-ثكنة "صليح باشا" (صالح باشا أوده لرى)، وتوجد بقرب الميناء وتتشكل من 26 غرفة (أودة) تضم 1266 رجل يمثلون 60 أوجاقا.

-ثكنة "علي باشا" (علي باشا أوده لرى)، وهي مجاورة لثكنة صليح باشا وتتكون من 24 غرفة تأوي 1516 فرد مكونين 55 أوجاقا.

-"دار الإنجشايرية باب عزون" (باب عزون أوده لرى)، وتتكون من 28 غرفة (أودة)، يسكن بها 1611 إنكشاري وتشكل 63 أوجاقا.

[81] -معاشي،المرجع السابق.

-الثكنة القديمة (إسكي أوده لر)، أو الفوقانية ، وتقع في حي المدية وتتكون من 31 غرفة تضم 1089 مجند وتشكل 60 أوجاقا.

-الثكنة الجديدة(يكي أوده لر)، أو التحتانية (السفلى)، وتوجد في نفس الحي وتتكون من 19 غرفة وتضم 856 جندي مشكلة 38 أوجاقا.

-دار أوسطه موسى" (أسته موسى أوده لرى) وتقع قرب باب بحر (باب دزيرة) وبها 31 غرفة يشغلها 1833 مجند مكونين 72 أوجاقا.

-"دار الإنجشليرية مقرون" (مقرر أوده لرى) " مقرر أودة لري"، وتتكون من 27 غرفة يسكنها 899 رجل يشكلون 48 أوجاقا.[82]

-ثكنة يالي (يلي أوده لرى) وتقع في مقابل ثكنة " أوسطه موسى " وتسمى أيضا ب"دار الدروج" وتتكون من 15 غرفة تأوي 602 إنكشاري مشكلين 27 أوجاقا.

ولم تكن هذه الثكنات تخضع عادة لسلطة الداي، بل لسلطة الآغا، ورغم ذلك كانت أبوابها تغلق ليلا وتحمل مفاتيحها إلى قصر الداي مع مفاتيح المدينة، اتقاء لأعمال الشغب والانقلابات التي تقع عادة في الليل،وقد أشار Berbregge في مقاله السابق الذكر، أن ثكنة باب عزون كانت مركزا دائما للثورات وكذا ثكنة الخراطين القريبة منها.

عرفت الثكنة في الجزائر ب "دار" وعرفت الغرفة (الأودة) ب"بيت"، وكان معظم البيوت المكونة لثكنات الإنكشارية تسمى بأسماء الشخصيات التي عاشت بها في فترة التجنيد، كالدايات والبايات وغيرهم من الموظفين السامين في الدولة الذين عاشوا بهذه الغرف كمجندين قبل أن يتركوها للالتحاق بالأعمال الإدارية، مثل:" بيت كتشوك علي"، "بيت كتشك عثمان"، "بيت قارة بوصلي"، "بيت بابا حسن" وغيرها من الأسماء التي تدل على أن أصحابها عاشوا في فترة شبابهم بهذه الغرف، وكان يسجل ذلك، رسميا، في وثائق تحدد موضع كل غرفة وتكتب الوثيقة على الشكل التالي: " 1199 هـ (1784-1785 م) بيت سيدنا ومولانا مُحَّد باشا في الجهة اليسرى في الطابق العلوي وتأوي أوجاق رقم 310".

وكثيرا ما قام هؤلاء بإدخال تحسينات على هذه الغرف، ويسجل ذلك على لوح من الرخام يوضع فوق باب الغرفة، كما خصصوا لها أوقافا لصيانتها، وهو مافعله حسن بن حسين باشا (1211 هـ/ 1796 م) بالنسبة للغرفة التي سميت باسمه (بيت دالي والي"بابا حسن") وتوجد بثكنة باب عزون.

بالإضافة إلى الثكنات كان الإنكشاري يسكن الخانات، التي وصل عددها في مدينة الجزائر وحدها، إلى 30 خانا، ويمكن لهذه السكنات المشتركة أن تأوي حوالي 15000 ساكن معظمهم من السلك العسكري والغرباء عن المدينة.

[82]-معاشي ،المرجع السابق،ص22.

ت–لإنكشاري داخل الثكنة: كانت الثكنة السكن الأساس للإنكشاري منذ دخوله الجزائر حتى زواجه أو وفاته، ولا مأوى له غيرها، لذا وفرت الدولة بالثكنة جميع المرافق التي يحتاج إليها المجندون وعلى رأسها المسجد أو المصلى ويخصص لكل وحدة إمام يؤم الإنكشارية في الصلوات الخمس، ومدرس يعلمهم القراءة والكتابة، وواعض يذكرهم بتعاليم دينهم حتى لا ينحرفوا عن المبادئ الإسلامية، فكان مسجد "سيدي رمضان"، مثلا، تابعا لدار الإنكشارية وقد أوقفت عليه وقفية لصيانته، كما وفرت لهم مختلف مرافق الحياة اليومية كالمقهى والمطبخ،وقد أ شاد الرحالةالأجانب بهذه الثكنات ومنهم Shaw الذي قال أنها رحبة ونظيفة ومريحة مجهزة بعيون للوضوء، وقد أوقفت على مختلف الثكنات وقفيات خيرية خاصة أنها، حسب حمدان خوجة، كانت قد تحولت في نهاية العهد العثماني إلى شبه دور للعجزة، حيث ضمت العديد من الجند المتقاعدين وأرامل الجند وأيتامهم.

ويتميز الإنكشاري بأناقته ونظافته، ولونه المفضل هو الأحمر، فكان يرتدي معطفا أحمرا وحذاء yemeni أحمرا وسروالا salvar أزرقا، وما يميز الإنكشاري عن غيره هو الشكل الغريب للباس الرأس، ففي حين يلبس الفرسان الطرابيش، كان الإنكشاري يلبس قلنسوة طويلة الذنب وعلى جبينه حلقة من المعدن تلصق بها ملعقة من الخشب، أما أيام الحرب فيلبس الجميع خوذات حديدية.بهذا يمكن تصور مدى بساطة وتواضع حياة الإنكشاري في الثكنة ومدى حرص حكومة الجزائر على توفير الحياة الكريمة للمجند بشرط أن لا يتجاوز ذلك حدود الحياة العسكرية الخشنة حفاظا على تكوينه العسكري.[83]

ث–**ألقاب الجند ورتبهم:** يمر الإنكشاري خلال حياته العسكرية بعدة مراحل تبدأ بمرحلة التعلم وهي المرحلة التي يكون المجند فيها تلميذا لا رتبة له، وكان ذلك ضمن عملية "الدفشرمة"، وكان التلميذ يحمل لقب "عجمي أوغلان"، ثم ينتقل إلى رتبة "يولداش" Yoldach وهي كلمة تركية تعني " الرفيق" أو " الزميل "، وتطلق على الجندي البسيط، ويبدأ الإنكشاري عمله في الجزائر من هذه الرتبة، فيقضي ثلاث سنوات حاملا لقب "يني يولداش" أي الجندي الجديد، ويوضع تحت تصرف المجندين القدماء لتدريبه على حياته الجديدة، ثم ينتقل إلى "إسكي يولداش" ومعناها الجندي القديم، وهذا قبل أن يتدرج في الرتب العسكرية إلى أن يصل منصب "آغا الإنكشارية" (يكيجيري آغاسي) ومعناها قائد الإنكشارية وهي أعلى رتبة في هذا الجهاز العسكري، قبل أن ينتقل صاحبها إلى السلك الإداري، حيث يتولى منصب الخزناجي ومنه إلى أعلى منصب في الإيالة وهو منصب الداي (الباشا) وكانت الأقدمية هي مقياس هذه الترقية في أغلب الأحيان، وإن تدخلت أحيانا اعتبارات أخرى، مثل الكفاءة و الوساطة وأحيانا عن طريق القرعة أو مجرد لعبة حظ، ويأتي تفصيل هذه الرتب حسب "هايدو" Haédo [84]كما يلي:

–اليولداش، الجندي البسيط.

–أوداباشي، عريف (قائد الغرفة).

---

[83]-معاشي،المرجع السابق،ص24 ومابعدها.

[84]-نفسه،ص27-

-أوطراك، مستشار الآغا.

-البادوشا، حرس خاص، 2 للباشا و 2 للآغا.

-الصوطاجي، مرافق للباشا.

-مور بولوك باشي، واسطة بين الآغا والباشا.

-ياياباشي، مرافق للباشا في صلاة الجمعة و عددهم 20 مرافقا.

-باش بولوك باش، أقدم بولوك باشي.

-كاهية الآغا، نائب الآغا.

-الآغا، القائد الأعلى للإنكشارية.

ويطلق لقب "الآغا" على عدة مناصب إدارية وعسكرية في الآستانة أما في الجزائر فهو لقب، أطلق على عدد محدود من الموظفين معظمهم من الجيش منهم قواد الجيش في المقاطعات وأبرزهم آغا الإنكشارية وهو القائد الأعلى للجيش وآغا السباهية وهو القائد الأعلى للفرسان والمناطق الداخلية (آغا العرب) ولا يحتل هذا الأخير نفس أهمية آغا الإنكشارية، ويطلق على الآغا إسم "آغا الهلالين" (إيكي آي أغاسي) وذلك إشارة للفترة التي يشغلها وهي شهران.

وللآغا الذي يكون دائما من الأتراك، مكانة محترمة من طرف الجميع، حتى من الباشا نفسه، وهو المسؤول الوحيد على الإنكشاري، الذي لا يسمح له بالالتجاء إلى الباشا للشكوى، ومن فعل ذلك يعاقب من طرف الآغا، وحتى الباشا نفسه كان يلتجئ إلى الآغا إذا ما أراد أن يشتكي من تصرفات الإنكشارية ولا يحق له معاقبتهم دون العودة إلى الآغا، أما إذا اشتكى الإنكشارية من الباشا فإن الآغا يقوم بحل المشكل دون الرجوع إلى الباشا.

والترقية إلى رتبة الآغا تأتي بالأقدمية إلا أن تغييره يأتي بسرعة ولأتفه الأسباب أو بدون سبب ليصل إلى المنصب من يليه في الأقدمية.

كما أن الخدمة العسكرية للمجند تدوم 10 سنوات ثم يختار البقاء بالجزائر أو العودة إلى موطنه الأصلي بنفس الطريقة التي أتى بها أي عن طريق وكيل الجزائر بموطنه، والذي يتكفل بإعادته مع إعطائه شهادة من الدولة الجزائرية بأنه سرح من الخدمة، وتكتفي الدولة بمنحه بعض الهدايا أما الذي يبقى بالجزائر فإنه يحتفظ براتبه.[85]

ح-مرتبات الإنكشارية: كان الأتراك والكراغلة المقيمين بالجزائر يحصلون على مرتبات، سواء كانوا ضمن صفوف الإنكشارية أو خارجها، ويقدر أقل أجر، حسب التشريفات، 14 صايمة (الصايمة = 0.18 فرنك تقريبا)، أما أعلى أجر فيقدر بـ 160 صايمة، ، وبعد 12 إلى 15 سنة يصل الأجر إلى أقصاه.ويتكفل الباب العالي، عادة ، بنصف مرتبات الجيش (العلوفات) والنصف الآخر يدفع من مداخيل الإيالة والتي تتكون من:1- الضرائب التي تجمع داخل الجزائر كالأعشار والزكاة واللزمة وضريبة العقار.

[85]-معاشي،المرجع السابق،ص29.

2-كراء أراضي الدولة.

3-الهدايا التي تأتي من البايلكات (الدنوش).

4-ما يدفعه الأجانب مقابل إرساء سفنهم في الموانئ الجزائرية.

5-هدايا القنصليات في المواسم والأعياد.

6-ما يدفعه الأجانب مقابل الامتيازات التجارية.

7-غنائم البحر.وتقدم الأجور بدار الباشا في احتفال كبير يحضره الداي وكبار الضباط والموظفين وجميع أفراد الإنكشارية وفي مقدمتهم آغا الإنكشارية الذي يجلس إلى يمين الداي ويقوم بتوزيع الرواتب على المسجلين في سجلات رواتب الإنكشارية ومنهم الداي الذي يكون على رأس القائمة، وتتكون عملة الأجور من الذهب الخالص أو الفضة، ويبدأ التوزيع، الذي يقوم به الآغا، بالداي الذي يأخذ نفس أجر الجندي البسيط، ثم بقية أفراد الإنكشارية بالمنادات على أسمائهم من السجل الخاص بهم.

بالإضافة إلى الأجور حظي الإنكشاري، بجملة من الحقوق والامتيازات المادية والأدبية منها:

الإعفاء من الضرائب إعفاء تاما، وحق شراء المواد الغذائية بسعر أقل بنسبة 3/1 السعر الرسمي.

الحق في وجبات يومية مجانية، تتكون عادة من: (أرز، برغل، أربع أرغفة من الخبز ثلثه قمح وثلثين منه شعير، واللحم مرة في الأسبوع).خضوعه لنظام قضائي خاص يحفظ كرامته، فحسب قانون السلطان مراد الأول، يجب أن يحاكم الإنكشاري محاكمة سرية من طرف ضباط الجيش وعلى رأسهم الآغا وتتراوح العقوبة بين السجن والجلد والإعدام، الذي كان ينفذ سريا في جنح الظلام وترمى الجثة عادة في البحر، إلا أن هذا الإجراء لا يحدث إلا نادرا.[86]

حق التقاعد مع الاحتفاظ بمرتبه كاملا، حتى وفاته، وحرية اختيار مكان إقامته، ولم يكن للتقاعد، حسب القانون العسكري"عهد الأمان" الصادر بالجزائر، سنة ، 1162 هـ/ 1749 م، سن محددة، بل قد يكون في سن الأربعين أو الخمسين أو الستين أي بعد مرور الجندي بجميع الرتب العسكرية أو إصابته بعجز يعيقه عن مواصلة مهامه، وهنا يعرف الإنكشاري ب" معزول آغا" ويؤذن له بالزواج والإقامة خارج الثكنة، كما يسمح له بممارسة النشاط الذي يختاره وكان الباشا يلتجأ أحيانا إليه للاستشارة، أما الجندون الذين ينسحبون من الجيش بدون عذر فيخصم منهم نصف الراتب، وإن كان ذلك لا يحصل إلا نادرا. كما أن للإنكشاري إكراميات "بقشيش" تدفع له في المناسبات السعيدة، كالأعياد الدينية أو تولي سلطان جديد العرش، أو تعيين باشا جديد لحكم الجزائر، أو ازدياد مولود للسلطان، فعند وصول نبأ ولادة صبي للسلطان محمود، في صفر 1233 هـ/ 1818 م، رفع الباشا حسين أجر إنكشارية الجزائر بصايمة واحدة وغيرها من المناسبات التي يحتفل بها رسميا في الإيالة، وتكون الزيادة دائما بصايمة واحدة في كل مناسبة، إلا في حالة الإنتصار في الحروب فتكون الزيادة ب 2.5 صايمة، وهو ما جاء

[86]-نفسه،ص30.

في القانون العسكري الجزائري"عهد الأمان"، الذي يقول: " إن كل مظاهر الشجاعة التي تم القيام بها سواء في البر أو في البحر سيتم مكافأتها بزيادة في الأجر تقدر ب 2 صايمة ونصف ولا يمكن المطالبة بأكثر من هذا."[87]

[87]-معاشي،المرجع السابق،ص32ومابعدها.

محاضرة (09)الأسطول البحري الجزائري

أ-**مدلول الأسطول البحري**: الأسطول البحري، كلمة تطلق على نظام متكامل يتكون من مجموعة من السفن الحربية والسفن المساعدة والقواعد البحرية المحاذية ويسهر على تسيير هدا العتاد مجموعة من الأفراد تحت حكم طاقم مؤهل وذو خبرة، وتمتلك كل الدول المطلة على البحار أسطول بحري لكن قوة وحجم هده الأساطيل تختلف من دولة إلى أخرى.

ب-أسباب اهتمام الجزائر بالسلاح البحري:

1-اضطرب الأمن الملاحي في حوض البحر المتوسط، منذ قيام الحروب الصليبية.

2- ظهور حركة القرصنة التي كان الأوروبيون البادئين بها. فأخذت سفنهم تنطلق من قواعدها في رودس و قبرص و مالطة و جنوه، مغيرة على السفن الإسلامية فتسلب أحمالها و تأسر رجالها لتبيعهم في أسواق الرقيق، أو لتستخدمهم كمجذفين أو كأدلاء بحريين.

3-احتدام الحرب البحرية ومعاركها مع بداية القرن 16م بين السفن الإسلامية والسفن المسيحية الغربية في الحوض الغربي من البحر المتوسط .

4- استرداد الغرب للأندلس إثر سقوط غرناطة سنة1492م تبعته مطاردة قراصنة ومطاردة المسلمين الفاريين من الاضطهاد و ملاحقتهم حتى مدن المغرب الإسلامي الساحلية.

5-سعي الدول في السيادة على حوض المتوسط وإعادة التوازن الدولي لفائدتها.

6- رغبة الجزائر في تقوية سلاحها البحري. حتى تستطيع رد الغزاة، والقراصنة،وحماية تجارتها، وحدودها البحرية التي تعرضت للعدوان الاسباني زهاء ثلاثة قرون[88].

ت-تشكيل الأسطول الجزائري: تطورت البحرية الجزائرية في الفترة الممتدة بين القرنين 16م ونهاية18م. نتيجة الصراع العسكري البحري بين اسبانيا و الجزائر ، ولسيطرة رجال البحرية على دوالب الحكم العثماني في الجزائر مثل خير الدين، صالح رايس و غيرهم.

و قد انتشرت مراكز بناء السفن على طول المدن الساحلية المجاورة للغابات الكثيفة الصالحة أخشابها لبناء السفن على غرار "جيجل-القل-بجاية-مراسي السواحل بين جربة التونسية ومستغانم .وكان الأسطول الجزائري يتألف من وحدات حربية متنوعة، ومجهزة بالمدافع و الأسلحة و المحاربين. بالإضافة إلى بعض السفن الغنائم التي كان يتم حجزها أثناء المعارك الحربية.وتتم قيادة الأسطول البحري بقيادات تتوزع مهامها على الشكل التالي:

[88] - -مخيلف خيرالدين،دورها في البحر المتوسط خلال العصور الحديثة،

1. الرئيس "ريس" وهو القائد الأعلى للسفينة.

2-الباش رئيس "و هو نائب الرئيس .

3-"الخوجة "كاتب الرئيس"

4إمام المركب و واعظه الديني.

يضاف إليه مناصب أخرى يشرف أصحابها على توجيه السفينة وطلائها، وعنابرها و حراستها.

ث-أهمية الأسطول الجزائري على الصعيدين الخارجي و الداخلي: أدرك الجزائريون أهمية الدور الوطني الذي للأسطول ،فهو يؤمن استقلال البلاد، و مساهم في رخائها الاقتصادي. لذا شاركوا في تجهيزه و بلغ عدد وحداته في عهد "الريس حميدو" ما يقارب 500 قطعة بحرية يعمل عليها ما بين 30000 و 40000 بحار، وبلغت عظمة هذا الأسطول حتى أصبحت سفن الأعداء تتحاشى الصدام معها ، و أصبحت قوة إقليمية ودولية في البحر المتوسط. و تجليات ذلك هي:

1-حماية مهاجري الأندلس (المورسيكيين) من الاعتداءات و القراصنة الاوربية حتى الوصول إلى سواحل المغرب الإسلامي.

2-صد الهجمات البحرية التي شنها الأوربيون على مدن المغرب الإسلامي و سفن المسلمين التجارية.

3-الإغارة على قواعد انطلاق القراصنة في قبرص و رودس و جنوة و مالطة.

4-صد الحملات الاسبانية العديدة التي استهدفت احتلال الجزائر العاصمة.

5- القيام بحرب تحريرية لطرد الإسبان من المدن المغاربية التي تمكنوا من النزول بها (جيجل- عنابة- بجاية- وهران- المرسى الكبير- تونس مراكش).

6-المساهمة بجانب الأسطول البحري للخلافة العثمانية في المعارك الحربية ضد التحالفات الأوروبية الصليبية كمعركة (ليبانتو) عام1571ومعركة نافرين (1827)في جنوب اليونان.7-حماية التجارة الوطنية و إغناء الخزينة. بعائدات وفيرة مصدرها الغنائم البحرية[89].

ج-دور ومكانة الأسطول البحري الجزائري:كانت الجزائر خلال العهد العثماني من أقوى الدول في حوض البحر الأبيض المتوسط، كما تفردت بمكانة هامة في ظل الخلافة العثمانية ،وبعد استقلالها الكامل ربطت علاقات سياسية وتجارية مع أغلب دول العالم، بل وهي أول دولة اعترفت بحكومة الثورة الفرنسية عام 1789م و بالثورة الأمريكية بعد أستقلالها عن التاج البريطاني عام 1776م، واستطاعت إبرام عشرات المعاهدات مع دول العالم، وبلغ أسطولها البحري قوة عظيمة بحيث أستطاع خلال القرن 19م إحداث نظام للملاحة دولي في حوض المتوسط يضمن أمن الدولة الجزائرية والدولة العثمانية والتجارة الدولية ، مما جعل الدول الأوربية تسعى لتقويض هذا النظام تحت عباءة محاربة القرصنة ،وقد بات الأسطول الجزائري يقلقها،فتدارست في مؤتمراتها كيفية تدميره

[89] -مخيلف،المرجع السابق.

وانهائه.وبمبادرة فرنسافي "مؤتمر فيينا"1814- 1815"م طرح موضوع " أيالة الجزائر "واتفق المؤتمرون على تحطيم هذه الدولة في مؤتمر" إكس لا شابيل "عام 1818م حيث وافقت 30 دولة أوربية على فكرة القضاء على "دولة الجزائر "وأسندت المهمة إلى فرنساوانكلترا، وتوفرت الظروف المناسبة للغزو عندما تمكنت بحرية البلدين من تدمير الأسطول الجزائري في موقعة إكسموث 1816موالحملة الإنجليزية في1824م ثم معركة نافارينسنة 1827م، حيث كان في نجدة الأسطول العثماني وبذلك انتهت السيطرة الجزائرية على البحر الأبيض المتوسط.

ح–التأصيل التاريخي للأسطول الجزائري: تاريخ الأسطول الجزائري حافلٌ ومشرّفٌ منذ بدء تكوينه سنة 1518م .فبعد تكرر الهجمات الإسبانية على سواحل الجزائر استغاث الجزائريون بالأخوين بربروس عروج وخير الدين –بعدما ذاع صيتهما في معاركهما ضد الإسبان والطليان غربي المتوسط انطلاقاً من قاعدتهما في تونس– فدخلا الجزائر ونظما الجهاد ضد المعتدين الإسبان. ارتأى الأخوان –لضعف إمكانياتهما– وجوب الاستعانة بالدولة العثمانية لأنها أكبر دولةٍ مسلمةٍ ذلك الوقت فضلاً عن إمكانياتها العظيمة، ومن ثم شُرع ببناء الأسطول الجزائري الذي لم يضم في بدايته سوى أربع قطعٍ فقط، لكنه دُعم بقطعٍ آخر بعدئذٍ مما جعله يتطور بسرعةٍ ويغدو من أقوى أساطيل البحر الأبيض المتوسط ومكنه هذا من بسط سيطرته على غربي المتوسط لثلاثة قرون. ومما زاد في قوته وهيمنته دحره الهجوم المزدوج للإنجليز والهولنديين على السواحل الجزائرية سنة1516هذه الهيبة دفعت حكومة إيالة الجزائر لفرض ضريبةٍ على السفن المبحرة عبر المتوسط مقابل توفير الحماية لها وقد خضعت الدول الأجنبية كافةً لهذا القانون بما فيها فرنسا، وهولندا، وإسبانيا، وإنجلترا والولايات المتحدة وغيرها كثير، فكانت هيبة الأسطول في تلك الحقبة (1518–1827) الأساس في فرض هيبة الجزائر دولياً.كان الأسطول البحري الجزائري في البداية(القرن15م) يبلغ ما بين خُمس أو رُبع مجموع الأسطول البحري العثماني، أما في النصف الأول من القرن 17 فقد تطور أسطول الجزائريين وصار يشكل ما يعادل ثلث أو نصف الأسطول العثماني. لذلك يعد القرن 17 العهد الذهبي للبحرية الجزائرية، إذ فرض حكام الجزائر هيبة الدولة من خلال الأسطول البحري الذي كانوا يملكونه، فقد كان الأسطول الأكثر أهميةً ورهبةً في دول حوض البحر المتوسطة كاملةً، لا سيما أنه كبّد أوروبا العديد من الخسائر.وفي عام 1634 قال الراهب دان: "الأسطول الجزائري كان يتشكل من 70 وحدةً منها ما هو مسلح بـ25 مدفعًا ومنها بـ40 مدفعًا"، كما تقول بعض المراجع التاريخية إن البحرية الجزائرية[90] في تلك الفترة لم يكن تضاهيها بحرية دولة أخرى.استطاعت الجزائر فرض هيبتها عن طريق أسطولها البحري الذي تحكم في البحر المتوسط وأصبح نقطة قوة. ويقول أحد الأسرى لدى الجزائريين يدعى دييغو دي هايدو واصفًا البحارة هناك: "يبحرون شتاءً وربيعًا دون خوف، ويجوبون البحر المتوسط من شرقه إلى غربه، دون أن يعيروا أي اهتمام لمراكبنا، مستهزئين ببحارتنا الذي يستأنسون بملاهي الموانئ المسيحية"، مضيفًا "يخيل للمرء أنهم – أي البحارة الجزائريين – يخرجون لصيد الأرانب البرية فيقتلون واحدًا هنا والآخر هناك". فيما يقول السفير والعالم المغربي علي

[90] - عائد عميرة،الجزائر العثمانية قوة بحرية سطع نجمها في المتوسط ،نون بوست.

بن مُحَمَّد التمكروتي واصفًا البحارة الجزائريين في أثناء إقامته بالجزائر أواخر القرن 16 وبداية القرن 17: "رياس الجزائر موصوفون بالشجاعة وقوة الجأش ونفاذ البصيرة في البحر، يقهرون النصارى في بلادهم".حتى السفراء الأجانب أبدوا إعجابهم وانبهارهم بالأسطول البحري الجزائري، فقد جاء على لسان السفير الإنجليزي كتونغهام: "قوة وجرأة بحارة شمال إفريقيا هما الآن على هذا النحو من الضخامة سواء في البحر المتوسط أم المحيط الأطلسي، وأشهد أنني لم أعرف في حياتي شيئًا قد جلب إلى البلاد الإسبانية الأسى العميق والخراب الكثير غير هؤلاء".

ويرجع هذا إلى كون المراكب الجزائرية خفيفةً تسبق الريح على عكس المراكب المسيحية الثقيلة التي لا تستطيع مطاردتها ومنعها من الغزو حسبما يحلو لهم، والسبب الآخر يكمن في اهتمام البحارة بالنظام والنظافة وتنظيم المراكب وللإبحار ببطئ وضد الرياح، فمسموح للريّس أن يغير مكان أيّن كان في السفينة حتى لو كان نجل الباشا نفسه، فالمهم عندهم نجاح العملية[91].إنّ البحارة الجزائريين لم يكونوا مطلقا بالمعتدين بل هم كانوا في حالة دفاع عن النفس، دفاعا مشروعا وخصوصا ضد فرسان القديس يوحنا وكل الدول الأوروبية متفرقة أو مجتمعة، ومداخيل الجهاد البحري كانت تصب في خزينة الدولة فأين هم القراصنة هنا وأين هم لصوص البحر، وكلنا يعرف بأن القراصنة ليست لديهم دولة ولا مؤسسات مالية تشرف على مداخيل الحروب البحرية، وإنما كانوا فقط يخبؤون مداخيلهم في مخابئهم بالجزر النائية ويصرفونها على حاجياتهم الشخصية المبتذلة، في حين نجد أن مداخيل البحرية الجزائرية كانت تصرف على تحصين الثغور وإعداد الحملات العسكرية لنجدة أهل الأندلس وعلى الأعمال الخيرية وعلى رأسها الأوقاف، وهذه كلها فروق لا تدع مجال للشك من أنه لا علاقة لأعمال الجزائر البحرية بما يسمي بالقرصنة وهذا نظرا للفروق الجوهرية بينهما وللتطابق الكلي لهذه الأعمال مع الحروب البحرية حسب قوانين تلك الحقبة من الزمن[92]

[91]-عائد عميرة،الجزائر العثمانية قوة بحرية سطع نجمها في المتوسط ،نون بوست.

[92]-عميرة،المرجع السابق.

محاضرة (10)العلاقات الجزائرية الخارجية.

1-العلاقات الجزائرية المغاربية: كانت السياسة المغاربية البينية متوترة في أكثر فترات تاريخ بلاد المغرب [93]، فقلما ما كانت العلاقات ودية أو حسنة أو على الأقل إدراك خطورة التحديات الغربية ، فمثلا مع تونس كانت الجزائر تعتبرها إقليما تابعا لها و تونس ترفض ذلك ، كما كانت لتونس أطماع في قسنطينة . و من جهته كان للمغرب أطماع قديمة في تلمسان ، كما كان ينظر للجزائر كخطر يهدده و يجب تفاديه حتى و ان اقتضى الأمر التحالف مع الغرب ، و قد ظهرت مؤامرات كثيرة بين البلدان المغاربية من أبرزها زحف تونس و المغرب[94] و الأقصى و طرابلس متحالفين من تونس إلى قسنطينة عام 1702 ، و زحف المغرب على تلمسان ، و هكذا ظلت الحوادث مستمرة إلى أن بدأت التحالفات الأوروبية تتهيأ لاقتسام ممتلكات ما يسمى بالرجل المريض.

2-العلاقات الجزائريةالأوروبية والأمريكية: أقامت الجزائرعلاقات سياسيةو تجارية مع عدة دول أوروبية ، حيث كان دافع الجزائر الحيلولة دون قيام أي تحالف أوروبي ضدها ، أما الدول الأوروبية فقد أجبرت على التقرب من الجزائر و تبادل التمثيل الدبلوماسي معها ، لحفظ مصالحها التجارية من القرصنة بتقديم الترضيات المالية لها[95]، علما أن هذه العلاقات لم تخل من نزاعات و حروب بحرية بسبب الخلاف حول السيادة على البحر الأبيض المتوسط [96]، و فيما يلي نفصل في علاقة الجزائر مع دول أوروبا و الولايات المتحدة الأمريكية :

- **ببريطانيا** :كان للجزائر علاقات ودية في غالب الأحيان مع بريطانيا ، فاستفادت الجزائر من التنافس الحاد بين بريطانيا و فرنسا ، تخللت تلك العلاقات معاهدات سلام بين الدولتين ، نصت على تنشيط التجارة بين البلدين .[97]

كما أن بريطانيا كانت تبذل كل ما في وسعها لتتوتر العلاقات بين الجزائر و فرنسا ، حيث طلبت من داي الجزائر بعدما أرسلت له باخرتين محملتين بالهدايا أن يجعلها محل فرنسا[98] ، خاصة فيما يتعلق باستثمار المؤسسات الفرنسية ، و قد استجابت لها الجزائر في سنة 1806 ، حيث سحبت الامتيازات من فرنسا و منحتها إياها إلى غاية 1816 ، التاريخ الذي شنت فيه بريطانيا حملتها على الجزائر [99].

لكن هذا لم يمنع بريطانيا من شن حملات عسكرية على الجزائر لإضعافها و إجبارها على التخلي عن سيادتها البحرية ، و من بين هذه الحملات نذكر : حملتها على مدينة الجزائر عامي 1660 ، و 1670 ، و حملة اكس ماوث 1816. [100]

---

[93] -عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم،ج 7، د ط، أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، 1988 م، ص 1.

[94] -نفسه.

[95] - المدني أحمد توفيق: كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984 م، الجزائر، ص 56.

[96] - محمد الأمين عطلي، نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر و أثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية، " مذكرة ماجستير "، تخصص تاريخ حديث، المركز الجامعي بغرداية، 2011 - 2012 ، ص ص 140 ، 141

[97] - بوحلوفة محمد أمين ،إيلة الجزائر العثمانية و مملكة إنجلترا ،قرءة في الكتابات الفرنسية،المجلة الافريقية إ،مجلة القرطاس،ع7،2018،ص139-140.

[98] -Venture de paradis, Tunis et Alger au18éme siècle, La bibliothèque arabe sindbad. 1983;p 142.

[99] - يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999 ، ص 49-55

[100] - صغيري سفيان، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671 - 1830 م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف حسينة حماميد، جامعة باتنة، 2011 - 2012 ، ص 105 - 106 .

– **باسبانيا** : تميزت بالتوتر في معظم فتراتها بسبب احتلال اسبانيا للمرسى الكبير و وهران ، و الحملات المتكررة على المدن و الموانئ الجزائرية [101].

–**بالولايات المتحدة الأمريكية** : كانت الجزائر كعادتها السباقة في الاعتراف بأمريكا كدولة مستقلة عن بريطانيا عام 1776 ، كما منحتها مساعدات كثيرة ، لكن الاعتراف و المساعدات لم يمنع الجزائر من أن تفرض على أمريكا الايتاوات التي كانت تفرض على كل الدول الأخرى المارة على البحر المتوسط [102]، و يبدو أن الكنغرس الأمريكي الذي اعتبر أن الجزائر بعيدة و أن علاقته بالبحر المتوسط قليلة ، فقرر أن لا يقدم الإتاوة ، و عليه أعلنت الجزائر على أمريكا حربا[103] و أرسلت أسطولها إلى المحيط الأطلسي فأسر مجموعة من البواخر الأمريكية [104]و قادها إلى السواحل الجزائرية ، مما جعل الكنغرس الأمريكي يرسل وفدا يفاوض و يلتمس المساعدة لدفع الإتاوة ، و تم التوقيع على معاهدة سلام بين الدولتين عام 1796 ، و بمقتضاها تدفع أمريكا 721 ألف دولار اسباني (المعترف به في التعامل آنذاك) ، هذا مقابل اطلاق سراح البواخر المحتجزة ، و كذلك تعترف أمريكا بدفع مبلغ 22 ألف دولار اسباني سنويا للجزائر .

– **بفرنسا** : عرفت العلاقات بين الجزائر و فرنسا تطورات متباينة ، من المودة و التعاون إلى التوتر و الحروب .

بدأت العلاقات الأولى و الجيدة بين البلدين في عهد خير الدين و فرانسوا الأول بعد التوقيع على المعاهدة الثلاثية (le Traité tripartite) بين مبعوث خير الدين الذي حل بفرنسا بدعوة من ملكها و مبعوث السلطان العثماني و فرنسوا الأول عام 1535 ، حيث كانت فرنسا حريصة على اكتساب ود الجزائر و ذلك ابتداء من 1534 . و على اثر هذه المعاهدة توجه السفير الفرنسي الأول إلى الجزائر (Jean de Laforet) ، ثم عين قنصل فرنسي آخر سنة 1538 و كان أول قنصل أوروبي ، و قد تتابع المبعوثون الفرنسيون إلى الجزائر كقناصل أو كسفراء . [105]

و بالتوازي مع بدء العلاقات الدبلوماسية بين الجزائر و فرنسا ببادرة من هذه الأخيرة ، أخذت التجارة الفرنسية مع الجزائر طابعا قارا ، و ذلك بإنشاء فرنسا للمركز التجاري في مدينة القالة – كما أشرنا سابقا –ثم توترت العلاقة بين البلدين إثر الحملة الفرنسية على مدينتي الجزائر و شرشال عامي 1682 –1683 [106]، لتعود من جديد إلى طبيعتها في عهد الداي مُحَمَّد بن عثمان و حكومة الثورة الفرنسية 1789 التي بادرت الجزائر بالاعتراف بها ، كما قدمت لها مساعدات غذائية تمثلت في الدقيق ، القمح ، الشعير ، الحمص ، الفول ، و هذا بطلب صريح من حكومة فرنسا. في الوقت الذي كانت فيه الأنظمة الملكية الأوروبية تحاصر فرنسا سياسيا و اقتصاديا قصد القضاء على النظام الجمهوري الجديد.

و في عام 1793 قرر داي الجزائر " حسن باشا " أن يعطي فرنسا قرضا خاصا لشراء المواد الغذائية من الجزائر قدره مليون فرنك ذهبي ، و أتبع في العام التالي (1794) قرضا آخر قدره مليونين فرنك ذهبي . و تجاوزت مساعدات الجزائر الغذائية لفرنسا إلى مساعدات عسكرية تمكنها من الوقوف في وجه أعدائها .

---

[101] - أبو القاسم سعد الله، أبحاث واراء في تاريخ الجزائر، ج 1 ، المرجع السابق، ص 251.

[102] - مذكرات وليام شالر القنصل الأمريكي في الجزائر 1816 1824 م تعريب إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982 م ،ص24-122..

[103] - سلوى سعد الغالبي، العلاقات العثمانية الأمريكية 1830 - 1918 م، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2002 ، ص 30 .

[104] - -العربي إسماعيل، العلاقات الدبلوماسية بين دول المغرب العربي والولايات المتحدة الأمريكية، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،من هنا وهناك.

[105] - محمد بن سعيدان، علاقة الجزائر مع فرنسا 1659 - 1756 ، مذكرة ماجستير ، المركز الجامعي بغرداية، 2011 - 2012 ، ص 67.

[106] - عائشة غطاس، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1619 - 1694)، رسالة ماجستير نجامعة الجازئر، 1984 - 1985 م، ص 93 - 94 .

لكن في عهد الداي مصطفى باشا توقفت المساعدات الجزائرية لفرنسا و ذلك بعد أن رفض هذا الداي تقديم المعونة و الدعم اللذين طلبهما نابليون بونبارت ، بسبب الحملة التي شنها ضد مصر سنة 1798 ، و أكثر من ذلك وجه انذارا لفرنسا أن تسدد الديون التي عليها لجزائر بما أنها أصبحت قادرة على شن الحروب وحدها ، و إلا أعلن الحرب عليها ، و قد علل مصطفى باشا موقفه هذا بقوله " إن الدول المسيحية في أوروبا تدين بالولاء المعنوي للكنيسة و هي كذلك تهرع لمساعدتها كلما دعتها لذلك ، و بالمقابل فإن الدول الاسلامية حيثما وجدت يجب أن تكون هي أيضا مدينة بالولاء لخلافة الاسلامية ، و لأن مصر دولة إسلامية معتدى عليها من طرف دولة مسيحية فإن الواجب يفرض على حاكم دولة اسلامية أن يقف إلى جانبها و أن لا يبقي وسائله و امكانياته في حوزة المعتدي ."

و بعد انسحاب نابليون من مصر بعث برسالة إلى داي الجزائر مع أخيه " جيروم " يلتمس فيها من الداي مصطفى باشا إعادة النظر في العلاقات الفرنسية الجزائرية ، و يعيد المساعدات التي كانت تقدمها الجزائر لفرنسا ، و تعهد نابليون بالوقوف إلى جانبه دبلوماسيا لمواجهة المتحالفين ضده في أوروبا ، و قد قبل داي الجزائر هذا العرض و عادت العلاقات إلى طبيعتها .[107]

لكن سرعان ما توترت العلاقات الجزائرية الفرنسية من جديد ، بسبب عدم تقديم قنصل نابليون (ديبوا تانفيل) (Dubois Thainville) الهدية التي اعتاد القناصل تقديمها له ، و حين طلب الباشا رسميا على أساس أنها شيء واجب ، رد عليه نافليون برسالة ساخطة هدد فيها بتحطيم الأسطول الجزائري ، و أنذر بأن فرنسا على عهده ليست هي فرنسا على عهد البوربون ، و كان نتيجة ذلك أن احتجزت الجزائر سفينتين فرنسيتين و ضربت أخرى في ميناء تونس من أحد الجزائريين .

كما أقدم الداي أحمد باشا على سحب الامتيازات من فرنسا و منحها إلى منافستها بريطانيا عام 1806 إلى غاية 1816 أين أعادتها للمرة الثانية لفرنسا ، و بعدها جاءت أزمة ديون الجزائر على فرنسا و ما ترتب عنها من نزاع إلى احتلال .[108]

يجدر بالذكر أن عدد المعاهدات المنعقدة بين الجزائر و فرنسا كبير بلغ السبعين و هي معاهدات سلم و تجارة تم التوقيع عليها في سنوات مختلفة (1534 ، 1619 ،1628 ، 1640 ، 1661 ، 1662 ، 1666 ...الخ) . أكثر هذه المعاهدات تخدم مصالح فرنسا .كما تنوعت المساعدات التي قدمتها الجزائر لفرنسا بين المساعدات العسكرية البحرية ، و المساعدات الدبلوماسية للثورة الفرنسية ، و المساعدات الاقتصادية و المالية للثورة. غير أن أطماع فرنسا التوسعية كانت تحول دوما دون استقرار علاقتها السياسية مع الجزائر . و يرجع بعض المؤرخين النزاع الفرنسي الجزائري إلى عدة أسباب من أهمها :

1-تطلع فرنسا الى تحقيق مكاسب واسعة في الجزائر.

2- اعتماد أسلوب القوة تجاه أي خلاف ينشب ما بين بحارتها و بحارة الجزائر.

3- شركة " لنش " المركز التجاري الفرنسي بساحل القالة و عنابة .

أما بقية الدول الأوروبية مثل البرتغال و السويد و هولندا فقد سارعت إلى إقامة علاقات دبلوماسية مع الجزائر لتأمين سفنها التجارية العابرة للبحر المتوسط.

3-التحالفات الغربية ضد الجزائر : و في أوائل القرن التاسع عشر بدأت الدول الأوروبية و كذا الولايات المتحدة الأمريكية تكف عن دفع الإتاوات للجزائر ،كما أصبحت النوايا الاستعمارية الأوروبية تتجلى في الأفق ضدها ، خاصة بعدما حققت تفوقا عسكريا واضحا على الجزائر بفضل دخول دول أوروبا مرحلة الثورة الصناعية الحديثة و عدم مواكبة الصناعة الجزائرية لهذا التطور ، و بذلك اختل ميزان القوى لصالح أوروبا على حساب الجزائر .

---

[107] - جمال قنان، العلاقات الفرنسية الجزائرية (1830-1790 م)، منشورات ألف صفحة، الجزائر، 2014 ، ص 4.

[108] - وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب عبد القادر زيادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980 ، ص 19.

حيث تحالف الأوروبيون ضد الجزائر في مؤتمر فيينا الذي انعقد في 9 جوان من عام 1815 بطلب من الانجليز و ذلك لوضع حد نهائي لأعمال القرصنة البحرية الجزائرية في البحر الأبيض المتوسط و استرقاق المسيحيين (استعبادهم) ، و كلفت بريطانيا بتطبيق مقررات المؤتمر ، فتوجه الانجليزي اللورد ايكسموث (اكسماوث) عام 1816 على متن أسطول بحري إلى الجزائر و لما اقترب من سواحلها وضع الداي القنصل البريطاني في السجن ، لكن البحرية الجزائرية انخدعت بالراية البيضاء التي كانت تحملها السفن الحربية البريطانية فتركتها تدخل للميناء الجزائري ، فقنبلت بالمدفعية الأسطول البحري الجزائري و ألحقت به أضرارا جسيمة مما أجبر الداي عمر باشا على قبول شروط مؤتمر فيينا .

و من بين هذه الشروط : تطبيق القرارات الصادرة عن مؤتمر فيينا و خاصة تلك التي تتعلق بإلغاء الرق و اطلاق سراح الأسرى المسحيين الموقوفين في الجزائر ، و تسريح البحر الأبيض المتوسط للتجارة الحرة و الاعتراف بأولوية انجلترا في التعامل مع القنصليات الأجنبية في الجزائر .

الجدير بالذكر أن حملة اكس ماوث كان ظاهرها تنفيذ لإرادة الدول الأوروبية و باطنها رغبة بريطانيا في فرض سيطرتها على البحار للاستحواذ على طرق المواصلات و الحفاظ على مصالحها التجارية ، بعد أن فقدت مستعمراتها في القارة الأمريكية .

و في يوم 30 سبتمبر 1818 عقد الأوروبيون للمرة الثانية مؤتمر ضد الجزائر عرف باسم مؤتمر "ايكس لاشابيل " قرروا فيه مطالبة كل من الجزائر و تونس و ليبيا بوضع حد للقرصنة و اعتبروا أي مساس بالبواخر التجارية لأحد من هذه الدول المتحالفة سيؤدي إلى رد فعل سريع.

و في 5 سبتمبر 1819 قدمت قطعة بحرية انجليزية فرنسية تحت قيادة الأميرالين " فريمونتل " و " جوليان " إلى الجزائر ، ليبلغا الداي حسين بقرارات المؤتمر ، لكنه رفض استقبالهما و جمع القناصل الأوروبيين و حملها إلى أوروبا رسائل يقول فيها " الجزائر حرة في تسيير شؤونها كيف تشاء ، و هي ليست مستعدة لتطبيق الأوامر التي تأتي من الخارج ." ثم أمر القناصل الأجانب بأن يقدموا الهدايا المتأخرة ، و عندما رأى المشاركون في مؤتمر "ايكس لاشابيل " تعنت الداي حسين قرر أن تنظم حملة عسكرية نشارك فيها معظم الدول الأوروبية لتأديب الجزائر.[109]

بعدها دخلت الجزائر في مرحلة ضعف و انحطاط و خاصة بعد تحطيم أسطولها في معركة نافارين يوم 20 أكتوبر 1827 ، ففقدت هي و الامبراطورية العثمانية قوتها و هيبتها ، فتكالبت عليها الدول الأوروبية و كانت نهاية الوجود التركي في الجزائر على يد فرنسا عام 1830 في عهد الداي حسين بعد ثلاثة قرون من وجودها.

[109] - يحي بوعزيز،الموجز في تاريخ الجزائر، ج 2، 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999 ، ص 110

محاضرة (11)الأوضاع العامة في الجزائر في فترة العثمنة.

إن الأوضاع العامة للجزائر السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية تأثرت بشكل كبير بطبيعة و خصائص الحكم العثماني بها الذي استمر ما يزيد عن ثلاثة قرون من جهة ، و بشخصيات الحكام الأتراك من جهة أخرى ، حيث تميزت هذه الأوضاع بالاستقرار و الازدهار في بعض الأحيان و الاضطرابات و الانحطاط أحيانا أخرى .و في هذه المحاضرة عن الأوضاع العامة للجزائر قبل الاحتلال الفرنسي سنتناول الفترة التي بدأت فيها الجزائر تأخذ منعرجا خطيرا بنهاية القرن 16 ، بعد أن كانت تتمتع بمكانة مرموقة و هيبة دولية ، مركزين على الفترة الأخيرة من حكم الدايات (1800-1830) ، و التي عرفت فيها الجزائر تدهورا عاما طرأ على مجالات الحياة السياسية والعسكرية و الاقتصادية و الاجتماعية .

أ-العلاقة بين السكان العثمانيين: إنّ العلاقة بين السكان في مجملها لم تكن إيجابية ومستقرة ،فالطبقة الحاكمة لم تكن تثق في أغلب عناصر السكان، [110]لذلك لم يعتمدوا عليهم في إدارة شؤون البلاد ،وعملوا على اقصائهم وإبعادهم عن المهام الحيوية حتى لا يتحولو إلى خطر يهدد مصلحهم ومستقبل حكمهم وقد شمل ذلك حتى العنصر الكرغلي،إذ لم يحض بالثقة اللازمة، و تقرب بعض الأجانب والتجار إلى السلطة العثمانية دون أن يكون لذلك نفوذ سياسي، ولكن عندما أحسسوا بخطر الجيش الانكشارية أو رياس وفي ظل عدم الاستقرار وانتشار الفساد و الفوضلى في مختلف الميادين بسبب الجيش الانكشاري الذي كان يتدخل في السلطة مما أدى الى فتح المجال للأجانب ،فتمكن اليهودي من إحكام قبضتهم المالية والاقتصادية وفي ظل هذا الوضع حاول علي خوجة إصلاح الأوضاع وذلك بالتخلص من سيطرة الجيش الانكشاري وكذلك الداي حسين الذي حاول أن يتخلص من الجيش الانكشاري أيضا فقرّب الأهالي والكراغلة واختار منهم حراسه.ودعم الجيش الانكشاري بفرق من الشرق الجزائري وهذه الفوضى بين الجانبين أدت إلى تجاوزات وفوضى إدارية فحدثت اضطرابات خاصة في بلاد القبائل وواد سوف والأوراس.

ب- الأوضاع السياسية : أن عهد الدايات كان مليئا بالثورات و المؤامرات و لم تكن مدة حكمهم تستمر طويلا ، إلا أنه يمكن أن نستثني من ذلك الفترة التي حكم فيها الداي مُحَمَّد بن عثمان باشا في النصف الثاني من القرن 18 أي من سنة(1766 – 1791) ، حيث عرفت الجزائر في ظل حكمه استقرارا نسبيا و ذلك بالتعاون مع كل من الباي مُحَمَّد الكبير و صالح باي قسنطينة في ادارة شؤون البلاد داخليا و خارجيا ، كما استطاع الداي مُحَمَّد بن عثمان باشا أن يتغلب على العجز الذي كانت تعاني منه الميزانية العامة للجزائر .

و في مجمل الحديث عنالأوضاع السياسية الداخلية للجزائر قبل الاحتلال الفرنسي يمكن القول أنّها تميزت بعدم الاستقرار السياسي و الأمني ، حيث تواصلت الاضطرابات ، و التناحر على الحكم و الاستبداد ، و الاغتيالات و نشوب الفتن الأهلية و التمرد و العصيان من طرف الأهالي بسبب السياسة التي انتهجها الدايات بإرهاق الأهالي بالضرائب و الإتاوات ، علما أن التمرد و

[110] - سامح عزيز ألتر، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا، تر: محمود علي عامر، ط 1، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان، 1989 م، ص 178.

العصيان كان يواجهه الدايات بالقوة و سفك الدماء . يذكر أن السياسة الجبائية التركية المرتفعة طبقت عندما نقصت المغانم البحرية في السنوات الأخيرة من العهد التركي بالجزائر بسبب فقدانها السيطرة على البحر المتوسط .

و من بين التمرادات و الثورات على الحكم التركي تلك التي قام بها سكان العاصمة و القبائل المجاورة عام 1692 بعد اقدامهم على اشعال النيران في مرافق الميناء و بعض السفن الراسية به ، و حركة التمرد الواسعة التي قام بها كراغلة تلمسان في عهد الداي ابراهيم باشا كوجوك ، حيث سيطروا على المدينة و طردوا منها الحامية التركية ، كما حاولوا الاتصال بكراغلة عاصمة الجزائر للانضمام الى حركتهم ، لكن الداي تفطن للأمر و قضى على تمردهم بالقوة ، بالإضافة إلى تمردات أخرى عرفتها مختلف مناطق الجزائر مثل (القبائل الكبرى عام 1767، سكان البليدة- الحضنة- واحات الجنوب- الاوراس).

كما نذكر في هذا الصدد ثورة ابن الاحرش التي ظهرت ما بين 10 جوان إلى 10 جويلية 1804 ، حيث أعلن ابن الأحرش الجهاد للقضاء على سلطة بايلك الشرق ، و بعد سلسلة من الملاحقات تمكن الباي من وضع حد نهائي لثورته . يذكر بعض المؤرخين أن الثورة العارمة لابن الأحرش بالشرق الجزائري جاءت بتحريض من انجلترا ضد الحكم التركي ، و ذلك بعد الامتيازات الكبيرة التي قدمها الداي لفرنسا في الجزائر خاصة في ميدان استغلال المرجان بالقالة .

كما ظهرت حركات تمرد أخرى انتشرت في عدة مناطق من الجزائر لتشمل أوساط القبائل الجبلية والجهات الشرقية و الوسطى من البلاد.[111]

ت-الأوضاع العسكرية: واجهت الجزائر و الدولة العثمانية تهديدات خارجية كبيرة ، خاصة من جانب اسبانيا و الدول الايطالية و فرسان مالطة ، مما جعلها (أي الجزائر) تهتم بأسطولها الحربي تدفع به الغارات المسيحية عن مدنها و سواحلها ، و تحمي التجارة الاسلامية و المهاجرين الأندلسيين ، و حجاج بيت الله الحرام من اعتداءات القراصنة الأوروبيين ، و تدعم به الدولة العثمانية في حروبها ، و تغنم من خصومها . يجدر بالذكر أن الدوافع الروحية التي كانت وراء الجهاد البحري للأسطول الجزائري ضعفن بالتدريج ، ليصبح الربح هو مبدأه الأساس.

و قد كانت النواة الأولى لأسطول الجزائر تلك السفن التي أتى بها الأخويين خير الدين و عروج لإنجاد إخوانهم المسلمين في بجاية و الجزائر ، و عددها أربعة عشر وحدة . تمركز الأسطول في مدينة الجزائر التي حصن ميناؤها و دعم بالمدافع ، ليصبح قاعدة بحرية هامة في بناء المراكب الجديدة و اصلاح القديمة و المعطوبة و تجهيزها. كما أصبحت موانئ المدن الساحلية الأخرى كشرشال و دلس و بجاية و جيجل و عنابة و تنس قواعد أخرى للأسطول. و كان الخشب يجلب من غابات شرشال و جرجرة و بجاية و جيجل و القل ، كما أنشئت مصانع لصناعة المدافع و البارود و الذخيرة و قطع الغيار .

بلغ الأسطول الجزائر أوج قوته في منتصف القرن 17 مكنته من صد و افشال جل الحملات العسكرية على الجزائر كالحملات الاسبانية و الفرنسية و الهولندية و غيرها ، كما كان الأسطول درعا واقيا للسواحل المغاربية ضد القرصنة و العدوان الأوروبي. و قد تعاظم دور الأسطول الجزائري في حماية التجارة الدولية من القراصنة المتربصين عبر البحر .

---

[111]-صالح عباد،الجزائر خلال الحكم العثماني" 1514-1830"، هومة،2012،الجزائر،ص276 .

لكن دور البحرية و نشاط الأسطول الجزائري بدأ يتضاءل مع مطلع القرن 19 إلى أن اضمحل نهائيا سنة 1830 ، و يعود انهيار الأسطول إلى العوامل التالية :

- اتفاق الدول الأوروبية على ضرورة التصدي للجزائر و تقليص دورها .
- تقييد الجزائر بمعاهدات شراء سلامة تجارات الدول الأوروبية مقابل بعض الهدايا و الغرامات ، مما قل من نشاطات الأسطول الجزائري فتقلص عدد قطعه من حوالي 100 قطعة عام 1588 إلى 14 قطعة رئيسية سنة 1825 .
- الغارات المسيحية المتكررة على مدينة الجزائر ، و من أخطرها هجوم الأسطول الانجليزي الهولندي المؤلف من 39 بارجة بقيادة اللورد الأميرال اكسموث في 27 أوت 1816 ، و تمكن من تخريب قسم من أسوار مدينة الجزائر و مبانيها و مينائها ، و تدمير معظم أسطولها.
- اشتراكه في حروب الدولة العثمانية ، و آخرها معركة نافارين 1827 أثناء حرب اليونان التي دمر فيها ما تبقى من الأسطول.

-تخلف صناعة السفن الجزائرية و مهارة الأسطول قياسا إلى التقدم الصناعي الهام الذي أحرزته مثيلاتها في دول الغرب ، و المهارة الفنية التي اكتسبتها الأساطيل الأوروبية .

و على صعيد آخر ارتكبت الجزائر خطأ فادحا يتمثل في تخليها عن الصناعة البحرية (كانت تصنع بواخرها الحربية بنفسها) نظرا لانشغال التقنيين و المهندسين و الفنيين في الحرب ، و كذلك بسبب تنازلها عن غابات الكرستا الموجودة ببجاية لفائدة التجار اليهود و في مقدمتهم بكري و بوشناق، حيث أقدم هذين الرجلين على بيع أخشاب الغابات إلى انجلترا التي اهتمت بصناعتها البحرية و كرست كل جهودها لتطويرها ، و عليه فالجزائر توقفت عن الصناعة البحرية و بريطانيا ضاعفت المجهود .

ث– الأوضاع **الاقتصادية** : إن عدم الامن و الاستقرار السياسي و انتشار حركات التمرد و الاضطرابات كان له انعكاسات سلبية على المجال الاقتصادي ، حيث أهملت الفلاحة بتوقف الحرث و الزرع ، و حدثت مجاعات من جراء كثرة الفتن و الأهوال و اهتزاز المجتمع . كما أغلقت الأسواق خوفا من قطاع الطرق ، إضافة إلى ظاهرة الجفاف التي استمرت سنوات خاصة بشرق البلاد و ارتفاع الأسعار و غلاء المعيشة.[112]

يجدر بالذكر أن الاهتمام الكبير للعثمانيين بالجوانب العسكرية و السياسية انعكس سلبا على الجانب الاقتصادي ، حيث لم يكن للعثمانيين سياسة اقتصادية واضحة المعالم من شأنها أن تنهض بالبلاد ، و يتجلى ذلك من خلال عدم اهتمام الحكام الأتراك بتطوير البنية التحتية للإيالة الجزائر ، فمثلا بالرغم من اهتمام العثمانيين بالبحر لا نجد لدولة أثرا في إنشاء الموانئ الصالحة للتجارة ، حيث كان الاهتمام بالموانئ الجزائرية بقصد إيجاد مرسى آمن لسفن القرصنة و ليس بقصد التجارة ، كما لم تتدخل الدولة لتحسين وسائل الزراعة ، و لم تسهم في الوقاية من الأضرار الطبيعية ، أو الآفات الزراعية التي كانت تتعرض لها البلاد بصورة مستمرة.

[112]- صالح عباد،المرجع السابق،ص236.

ح- **الأوضاع الاجتماعية** : لم تكن الأوضاع على الصعيد الاجتماعي أحسن من غيرها ، حيث عرفت الجزائر انتشار الأوبئة خاصة في الفترة التي بلغ فيها مرض الطاعون درجة خطيرة و هي الفترة الممتدة من جوان 1817 إلى سبتمبر 1818 ، بالإضافة إلى و الزلازل التي ضربت كثيرا من المدن الجزائرية (مدينة الجزائر و المدية عام 1632 ، زلزال الجزائر العاصمة 1665 ، شرشال ، بجاية و الجزائر العاصمة عام 1716 ، ثم زلازل 1723 و 1724 و 1755 و 1760 التي خربت البليدة ، و زلزال وهران عام 1790) فتسببت في الكثير من الخسائر البشرية و المادية هلاك الكثير من الأرواح و الممتلكات [113].

ظهور فئات دخيلة على المجتمع الجزائري خاصة من اليهود ، فبالرغم من وجود عدة فئات أجنبية مسيحية في الجزائر ، إلا أن الجماعة النشيطة التي ارتفع شأنها في هذا البلد هي فئة اليهود ، لأنها كانت تتعامل مع الداي و قادة الجيش (الرياس) و يقومون بشراء و بيع البضائع أو الغنائم التي يحصل عليها الرياس ، كما اشتهر اليهود بعمليات السميرة و القيام بدور الوساطة في كل العمليات التجارية إلى درجة أنه أصبح من الصعب على أي عربي أن يبيع دجاجتين بدون وساطة مأجورة من أحد اليهود [114].

و في بداية القرن التاسع عشر تجلت في الجزائر نفوذ شخصين يهوديين و هما بوشناق و بوخريص (بكري) ، إذ كانا يقومان لوحدهما بدور البنوك في الجزائر ، و يحتكران الأسواق التجارية الجزائرية و خاصة في ميدان تصدير الحبوب فامتد نفوذهما حتى في بلاط الحكم ، فأصبحت لهما قوة تأثير في القرارات السياسية و الاقتصادية و كانا سببا مباشرا في احتلال فرنسا للجزائر عام 1830 ، و لسبب نفوذهم الكبير و سوء تصرفهما قام أحد الجنود الأتراك عام 1805 بقتل اليهودي بوشناق و هو خارج من قصر الداي بالجنينة ، أما صديقة بوخريص فقال بأمر من الديوان عام 1811 .

[113] - نفسه،ص373.

[114] -عمار عمورة ، موجز في تاريخ الجزائر ، ط 1 ، الجزائر ، دار ريحانة ، 2002 .ص-106

قائمة المصادروالمراجع

1- بوزيفي وهيبة، محاضرات في مقياس مدخل الى تاريخ الجزائر المعاصر، جامعة الجزائر 03، كلية علوم الإعلام و الاتصال، قسم الاعلام،.2016 .

2- عمار بوحوش ، التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962 ، ط 1 ، بيروت ، دار العرب الاسلامي ، 1997

3-عمار عمورة ، موجز في تاريخ الجزائر ، ط 1 ، الجزائر ، دار ريحانة ، 2002

4- صالح فركوس ، المختصر في تاريخ الجزائر (من عهد الفينقيين إلى خروج الفرنسيين 814 ق.م – 1962 م) ، (ب.ط) ، دار العلوم للنشر و التوزيع ، (ب.س.ط)

5- محمد مقصودة ، الكراغلة و السلطة في الجزائر خلال العهد العثماني (1519 -1830) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ، قسم التاريخ و الآثار ، كلية العلوم الانسانية و الحضارة الاسلامية ، جامعة وهران ، 2014

6- جمال الدين سهيل ، ملامح من شخصية تاريخ الجزائر خلال القرن 11 و 17 م ، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات ، المركز الجامعي غرداية ، العدد 13 ، 2011

7- محمد مقصودة ، الكراغلة و السلطة في الجزائر خلال العهد العثماني (1519 -1830) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ، قسم التاريخ و الآثار ، كلية العلوم الانسانية و الحضارة الاسلامية ، جامعة وهران ، 2014

8-مولود قاسم نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية قبل 1830 ، ط 2 ، الجزء الثاني ، الجزائر ، شركة دار الأمة ، 2007.

9-محمد العربي الزبيري ، محاضرات في مقياس تاريخ الجزائر من القرن 16 إلى يومنا هذا ، ألقيت على طلبة السنة الثانية اعلام بجامعة الجزائر 03 ، السنة الجامعية :2001-2002 .

10-أبو القاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال) ، ط 3 ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1982

11-بشير بلاح ، تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1989) ، ج 1 ، الجزائر ، دار المعرفة ، (ب.س .ط)

12-أبو القاسم سعد الله أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر القسم الأول ط 2 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981 ص 28 .

13-زكي مبارك الجهاد البحري في الغرب الإسلامي المفهوم الإسلامي والمفهوم المسيحي مجلة البحث العلمي، السنة الإحدى والثلاثون ع 45 جامعة محمد الخامس الرباط المغرب 1998مص24 .13-صحيفة الوحدة مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع – اللاذقية العدد 8004 – 22 نيسان 2013 سورية

14-مذكرات القنصل الأمريكي وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر تعريب إسماعيل العربي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1982 ص 191.

15-أحمد توفيق المدني حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492 – 1792 ط 3 المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984 ص 72.
16-عزيز سامح التر الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا ترجمة محمود على عامر الطبعة الأولى دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت 1989 ص 177.
17-وليم سبنسر الجزائر في عهد رياس البحر تعريب وتقديم عبد القادر زبادية دار القصبة للنشر الجزائر 2007 ص 98.
18-أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر " 16 9– 20 "، ج1، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985 ص 136.
19-وليم سبنسر الجزائر في عهد رياس البحر المرجع السابق ص 10-35.

20- Moulay belhamissi histoire de la marine algerienne (1518-1830) 2é- edition enal alger 1986 p 311

21-وولف ج.ب، الجزائر وأوروبا، ترجمة سعدا لله أبو القاسم المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986 ص 23- 22.2224-محمد بن مبارك الميلي تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج 3 مكتبة النهضة الجزائرية الجزائر ص 21
22-أحمد توفيق المدني ،المرجع السابق ص 80 – 81 - 82
23-شوقي عطا الله الجمل المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا 24 تونس – الجزائر – المغرب) الطبعة الأولى مكتبة الانجلومصرية القاهرة 1977 ص 42.
24-عباس فرحات الجزائر من المستعمرة إلى الإقليم الشباب الجزائري ترجمة أحمد منور منشورات وزارة الثقافة 2007 ص 21.
25-جميلة معاشي،الانكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث أجامعة منتوري قسنطينة،2008،ص 02-12 ومابعدها.
26-موسى لقبال ،المغرب الإسلامي،ط2،ش. و. ن.ت،الجزائر،1981.
27-فؤاد طارق كاظم العميدي،محاضرة السيطرة العثمانية على أقطار المغرب،كلية التربية للعلوم الانسانية،قسم التربية وعلم النفس،01 فبفري2015.
28-حسن محمود،قيام الدولة المرابطية،القاهرة ،1957.
29-السيد عبد العزيز سالم،المغرب الكبير،ج2،القاهرة،1966.
30-حسن إبراهيم حسن ،النظم الإسلامية،القاهرة،1959.
31-فليب حتي ،تاريخ العرب،بيروت،1953.
32-توفيق المدني،تاريخ المسلمين في صقيلية،الجزائر،1934.

33-محمد علي دبوز،تاريخ المغرب الكبير،ج3،القاهرة،1963.
34-حسن حسني عبد الوهاب،ورقات عن الحضارة العربية،تونس،1965.

فهرس الموضوعات

المقدمة	
الوضعية العامة للمغرب الأوسط قبل 15م(أ).	9
الوضعية العامة للمغرب الأوسط قبل القرن15م(ب)	15
مراحل الغزو الفرنسي للجزائر (1827- 1830)	21
أوضاع المغرب الأوسط أواخر ق15م وبداية ق 16م(أ).	25
الخطر الإيبيري والمد العثمانيفي أواخر القرن 15 ومطلع 16م	26
المغرب الأوسط(الجزائر) بقدوم الإخوة بربروسة	28
الدولة الجزائريةومراحل الحكم العثماني بالجزائر	32
أوجاق الجزائر.	35
الأسطول البحري الجزائري.	44
العلاقات الجزائرية الخارجية	47
الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية	52
قائمة المصادر والمراجع	58
فهرس الموضوعات	59-56